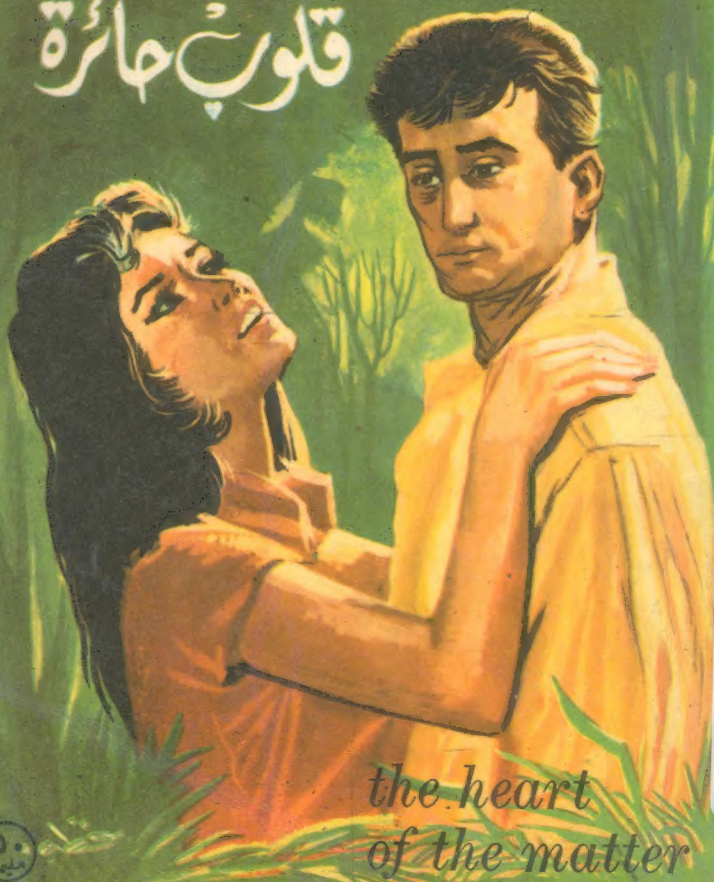


عالمیہ



روایات

قلوبِ حائرہ



the heart
of the matter



المصدر رقم ٢٥٦



قلوب هائرة

للمرواني العالي
جرالهم جريه

ترجمة
مسين القباي

كلمة للمؤلف

الاسماء الواردة فى هذه الرواية ليست
لأشخاص حقيقيين ، وانما هى أسماء مستعارة
لأشخاص لا زالوا على قيد الحياة . وكذلك
المكان الذى دارت فيه أحداث الرواية هو منطقة
معينة على ساحل افريقيا الغربى ، عشت فيها
عامين ونصف عام من حياتى فى خلال الحرب
العالمية الثانية . وقد أخفيت اسم المنطقة حتى
لا أسئ الى أحد من اصدقائى الذين لقيت منهم
كل حفاوة وتكريم .

جراهام جرين

الفصل الاول الرجل الغامض

جلس ويلسون في شرفة فندق بدنورد في صباح يوم احد . وكانت اجراس الكندراية تدق داعية الناس للصلاة . وعلى الجانب الآخر من شارع بوند ستريت ، وفي نوافذ المدرسة الثانوية ، جلست الزنجيات الشابات يصففن شعورهن الخشنة . ومسح ويلسون على شاربه وراح يحلم في انتظار كأس الشراب . وكان وهو جالس في مكانه يستطيع ان يرى البحر . واستدار اليه بوجهه . وكانت بشرته تنم على انه وافد جديد الى المستعمرة . ومما يؤكد هذا الظن ايضا عدم اهتمامه بالعداري الشابات الجالسات في نوافذ المدرسة الثانوية يصففن شعورهن . اما في الشارع نفسه فكان في مقدوره ان يرى الكتبة وموظفي المحافظة يتجهون الى الكنيسة مع زوجاتهم في ملابسهن الزاهية . ولم يكن في الشرفة معه الا رجل هندي طويل اللحية كبير العمامة كان يحاول ان يقرأ له كفه ، او على الاصح ، كان يبذل جهده ليغريه بذلك وهو يعبث ببطاقات التزكية التي يحملها ، كما يعبث اللاعب باوراق اللعب . اما باقي الاوربيين في المستعمرة ، فكان ويلسون يعلم انهم هناك ، على البلاج ، على بعد خمسة اميال ، يتخففون بالسباحة في مياه المحيط من عناء الحر والرطوبة . ولو كان ويلسون يمتلك سيارة ، لاستقلها وذهب ايضا الى البلاج . ومن ثم كان يشعر بالوحشة في مكانه هذا من شرفة الفندق . وعبثا حاول ان يتسلى بالنظر الى الاكواخ ذات الاسقف المعدنية المقامة على جانبي المدرسة ، المنحدرة في طريق الشاطئ ، او بالانصات الى الضربان وهي تحط او تطير من فوق السقف المعدني الذي يظلل الشرفة .

ورأى ثلاثة من ضباط السفن التجارية التي وصلت الى الميناء في قافلة بحرية ، يسرون نحو الفندق . وسرعان ما تحلق

بحولهم الفلماني يعرضون عليهم ألوانا من السلع الوطنية .
يحاولون استدراجهم الى اماكن اللهو الخاصة .
واقبل أحد خدم الفندق يحمل الشراب لويلسون . وبعد أن
أفرغ منه ، وجد أن ليس امامه الا البقاء هكذا في ملل ، أو الصعود
الى غرفته الحارة حيث يتسلى بقراءة بعض قصائد الشعر . وكان
بطبيعته خيالي النزعة ، يميل الى الشعر قراءة ونظما .
وسمع صوتا وراءه يقول :

— معلرة . . هل انت ويلسون ؟
فنظر الى أعلى حيث رأى رجلا يستدير ويقف امامه ببدلة
« كاكية » اللون ، قصيرة البنطلون ، وبوجه في لون القمح .
وأوما برأسه وقال :
— نعم أنا . .

— هل تسمح لي بالجلوس معك ؟ . اننى ادعى هاريس .
— بكل سرور يا مستر هاريس .
— انت المحاسب الجديد للشركة التجارية لافريقيا الغربية ؟
— نعم . . هل تشرب معى كاسا ؟

— سأشرب عصير الليمون اذا سمحت ، لانى لا أستطيع أن
أشرب مواد كحولية فى وسط النهار .
وعاد الهندى ونهض عن مائدته واقترب مرة اخرى من مائدة
ويلسون وقال لهاريس :

— هل تذكرنى يا مستر هاريس ؟ . لعلك تركينى لدى المستر
ويلسون وتخبره عن مواهبى و . . .
فقاطعه هاريس قائلا :

— انصرف إليها الدجال الماكر .

وقال ويلسون لهاريس :

— كيف عرفت اسمى ؟ .

— قرأته على برقية . . فانا رقيب البرقيات هنا . وباله من
همل . . وباله من مكان ! .

وعاد قارئ الكف الهندى يقول :

« أرى يا مستر هاريس أن حفظك يقبر إلى حد كبير ؟ فإذا
صمحت ورجئت معي إلى الحمام ، فاني .. »
« قلت لك انصرف يا جونجاوين »

وقال ويلسون :

« ولماذا الحمام ؟ »

« انه لا يقرأ الكف الا فيه ، ولعله المكان الوحيد المنزّل هن
أسماع الفضولين ، والعجيب انني لم أحاول أن أسأل نفسي هذا
السؤال »

« هل أنت هنا منذ مدة طويلة ؟ »

« ثمانية عشر شهرا من أسوأ شهور حياتي »

« وهل ستعود إلى انجلترا قريبا ؟ »

وشرد هاريس بنظراته عبر اسقف الاكواخ إلى الميناء .. ثم
قال بنبرات الجاهل :

« ان البواخر تسير دائما في الاتجاه العكسي لأمالي ، ولكن
عندما تحملني واحدة منها إلى بلادى ، فلن ترى هذه السواحل
وجهي مرة أخرى .. أبدا .. انني أكره هذا المكان .. وأكره كل
شيء فيه .. انظر .. انظر إلى المقبل في الطريق .. انه سكوبي »
ونظر ويلسون بلا اهتمام إلى سكوبي . ولم يكن يعرف في
تلك اللحظة مدى قوة الرباط الذي كان القدر في تلك اللحظة
يلفه حوله وحول سكوبي هذا .. وكان رجلا متوسط الطول ، في
العقد الخامس من عمره ، هادئ السمات ، وادع النظرات ، يسي
بتمهلا كأنما ذهنه مشغول بأفكار كثيرة »

وماد هاريس يقول :

« انه يجب هذا المكان ، وكل شيء فيه »

« أهو من رجال الشرطة ؟ »

« نعم .. انه نائب حكام الشرطة » وكان مرشحا ليكون

الحكمدار في هذه الأيام ؟ لولا (1970)

وصمت هاريس برهة قبل أن يستطرد قائلا :

— ولعله أيضا من الذين يأخذون الرشوى من التجار اللبنانيين
هنا .. هذا اذا صحت الشائعات .
— اللبنانيين ؟ ! .

— نعم .. ان هذه المستعمرة هي في الواقع صورة جديدة
لبرج بابل القديم ؟ . لان فيها اكبر عدد ممكن من مختلف الاجناس
والالوان .. هنود من جزر الهند الغربية ، وهنود حقيقيون ،
وافريقيون ، ولبنانيون ، وانجليز ، واسكتلنديون ، وايرلنديون ،
وفرنسيون .. وغير هؤلاء كثير .

— وماذا يفعل اللبنانيون هنا ؟ .
— يجمعون الثروات . انهم يمتلكون جميع المتاجر في هذه
المنطقة كلها .. ويتاجرون ايضا في الماس .

فقال ويلسون باهتمام :
— اعتقد انه يوجد ماس كثير هنا ، مهرب من جنوب افريقيا ؟
— نعم .. ان المهربين يبيعونه للتجار اللبنانيين ، وهؤلاء
يبيعونه للالمان بأسعار خيالية .
— لديه زوجة هنا ؟ ! .

فنظر هاريس الى ويلسون في دهشة .. ثم ابتسم وقال :
— آه .. اتقصد سكوبي ! . نعم .. ان زوجته معه هنا ..
وهي تصفحه بنحو عشرة .. جميلة جدا .. لا شك انك ستراها
بعد يوم او يومين . فهي رئيسة الجمعية الثقافية في المستعمرة ،
ومحبة للفن والشعر ، وقد اقامت ذات مرة معرضا للفنون من
بقايا البواخر الفارقة .. مسكين زوجها سكوبي ، كان الله في
هونه .. اتشرب كاسا آخر ؟ .
وقال ويلسون :
— اعتقد هذا ..



استدار سكوبي الى شارع جيمس ستريت ؟ واجتاز دان
المحافظة ، ودخل بناية الحكماء ، حيث مضى فورا الى غرفته

التي لم يكن بها غير مكتب عادى وبضعة مقاعد من الخيزران ؟ وعلى
الحكماء زوج من القيود الحديدية الصلبة .

وفيما هو جالس يقلب بعض السجلات امامه ، اقبل الجاويش
« المندى » ، وادى التحية العسكرية ، وقال له سكوبى :

— هل هناك شيء ؟

— ان الحكماء يريد ان يراك يا سيدى .

— هل حدثت تبليغات ؟

— رجلان من الوطنيين كلنا يتعاركان فى الميناء .

— بسبب فتاة ؟

— اجل يا سيدى .

— شيء آخر ؟

— لا يا سيدى .

— حسنا .. لسوف اذهب الى الحكماء بعد قليل .

ولما دخل سكوبى غرفة الحكماء .. قال هذا له :

— اجلس يا سكوبى .

وكان الحكماء رجلا فى نحو الثالثة والخمسين . ورغم هذا

كان يعتبر اكبر موظفى المستعمرة سنا . وكان قد امضى فى الخدمة

نحو اثنين وعشرين عاما . ومن ثم قرر ان يطلب احالته الى

الاستيداع ليقضى بقية عمره فى مزرعة خاصة له بوطنه .

وقال الحكماء لسكوبى :

— اننى سأعزل الخدمة يا سكوبى .

— اعرف هذا .

— يبدو ان كل من فى المستعمرة يعرف هذا .

— سمعت الناس يتبادلون الحديث عن هذا الامر .

— وهل سمعت عن نيتولى المتصب بعدى ؟

فهز سكوبى كتفيه وقال :

— سمعتهم يقولون اننى لن اتولاه بعدك .

— ان هذا ظلم يا سكوبى .. لقد بدلت كل ما استطيع من

جهد مع المسؤولين في الحكومة البريطانية لكي يسندوا المنصب اليك ، ولكن يبدو ان لهم وجهات نظر أخرى .
- ان هذا من حقهم ..

- والمهم الآن هو ماذا تنوى ان تفعل . انهم سيمسكون رجلا آخر من كامبا يدعى بيكر . انه اصغر سنا منك . فهل تحب ان تستقيل او تنقل الى مكان آخر يا سكوبي ؟ .
- اننى افضل البقاء هنا .
- ولكن زوجتك لن ترحب بهذا ..

فقال سكوبي لنفسه : « مسكينة لويز .. لقد جئت بها الى هذه البلاد منذ خمسة عشر عاما . وقد تحملت كل شيء لكى ارتقى يوما الى منصب الحكمदार وتصيح هي زوجة الحكمदार »
وتقيم فى البيت الجميل المخصص لهذا المنصب . ولكن هذا الامل سوف يقلت من يديها فى آخر لحظة ، وبعد كل هذه السنوات من الصبر » .

وقال بصوت مسموع :
- اعرف هذا يا سيدى ، ولكن ليست لنا حيلة امسح الامس الواقع ..

- اننى مندهش لتمسكك بالبقاء هنا .
- ان المكان جميل ، لا سيما فى الليل .
فابتسم الحكمदार بشحوب .. ثم قال :
- هل تعرف آخر ما يقال عنك فى المحافظة ؟ .
- اعتقد انهم يقولون اننى اخذ الرشاوى من التجار .

- لا .. انهم لم يصلوا فى احاديثهم الى هذا . ولكنهم يقولون انك تعاشر النسوة السوداوات ، وانك تفضلهن على الاوربيات »
وانك لم تحاول يوما ان تغازل احدى زوجاتهم الجميلات » ولذلك فهم يشعرون بالاهانة من هذا السلوك .

فقال سكوبي بكل هدوء :

— لم أعد في السن التي تصلح لمغازلة إحدى زوجاتهم للاستـ
— ويقولون أيضا أنك تدمن الشرب سرا .. واثق تتظاهر فقط
بالاستقامة والتقوى .. يبدو لي أنهم مجموعة من الخنازين
يا سكوبي ..

— ابن نائب المحافظ رجل ممتاز يا سيدى ..
فضحك الحكمدار وقال :
— نعم .. انه ممتاز فعلا .. ولكنك اعجب انسان رابته في
حيالى يا سكوبي ..

* * *

كان سكوبي قد خدع فيما يتعلق بالساكن اثناء آخر عطلة
سنوية قام بها قبيل الحرب العالمية الثانية . فلما عاد منها الى
المستعمرة ، وجد ان المنزل الاثيق المريح المخصص له في المنطقة
الاوربية ، قد سلم الى المفتش العام بالمستعمرة ، المستر فيلوز ،
ووجد نفسه وزوجته منقولين الى منزل آخر مكون من طابقين ،
كان في الاصل سكنا لآحد التجار ، ويقع في منطقة تنتشر فيها
المستنقعات في موسم الامطار .. وكانت واجهة البيت مقابلة
للبحر ، بحيث يمكن للواقف في نوافذها ان يرى مياه المحيط عبر
المسقف الاكواخ الممتدة امامه ..

اما الناحية الخلفية ، حيث جراج السيارة ، فكانت على
مسافة ميل واحد من المساكن الشعبية التي اقامتها المحافظة
للطوارئ ..

ولما دخل البيت نادى على زوجته :
— لويز .. لويز ..

ولم يكن في حاجة لان ينادى عليها ، لانها اذا لم تكن في
غرفة الجلوس ، فلن تكون في أية غرفة أخرى ، الا غرفة النوم ..
اما المطبخ ، فكان اقرب الى الكوخ الملقب بالباب الخلفى للبيت ..
ولكنه اعتاد على أن يناديها هكذا كلما دخل البيت ، وقد
تكونت هذه العادة منذ عهد الحب واللفتة عليها .. أما الآن ، فانه

وشعر بضخامة مسئولته لاسعادها كلما ازداد احساسها بأنه لا
يعد يحبها .

وكانت هي ، فى الايام الخوالى ، تستجيب لندائه ، ولكنها لم
يكن من النوع الذى يترك العادات تستبد به . كما انها لم تكن
يوما قادرة على التظاهر بما ليس فيها . كانت دائما صادقة مع
نفسها ، كالحوانات الاليفة ؟ . وحتى اذا مرضت كانت ، كهذه
الحوانات ، لا تلبث حتى تسترد صحتها بسرعة مذهشة .

— وراها فى غرفة النوم ، راقدة على الفراش ، تحت الكلة
« الناموسية » فى حالة استرخاء كامل . شعرها مرسل ، وعيناها
مغمضتان ، وجسدها شبه العارى فى غلاته الرقيقة متراخ
تماما .

ووقف ساكنا كالجاسوس فى ارض غريبة . وكان يشعر حقا
انه يقف فى ارض غريبة الآن . فاذا كان البيت فى نظره هو
الرضا بالواقع ، واداء الواجب والاعتياد على عدم التلزم من
الحياة او الاحياء ، فقد كان البيت فى نظرها حياة متطورة الى
اعلى . وكانت منضدة الزينة مليئة باشياء مختلفة من ادوات
التجميل ، وبينها صورة له وهو بملابسه العسكرية حين عمل
ضابطا للعلاقات العامة فترة ما اثناء الحرب ، وصور عديدة للوزير
نفسها فى اوضاع مختلفة ، وفى مراحل متتابعة من العمر .

ومرت فى ذاكرته الاعوام الخمسة عشر التى مرت على زواجه
بها ، وكيف كان فى اول امره معها يحبها بكل قطرة من دمايته ، ثم
كيف اخذ هذا الحب يحتضر عاما بعد عام ، من ناحيته هو على
الاقل ، بسبب الاختلاف الشديد فى وجهة نظر كل منهما للحياة .
ولكن فتور حبه لم يكن يمنعه من الشعور الدائم بأنه مسئول عن
صعادتها . عن توفير كل اسباب السعادة لها بقدر ما يستطيع .
لهذا الشعور بمسئوليته هذه ، جملة يابى ان يوقظها ليحمل اليها
لبا تخطيه فى الترقية ، ومن ثم استرق الخطا ، وهبط الدرجات
الداخلية التى كانت لويز قد كستها بالسجاد وزينت جدرانها
باللوحات ؟ وعاد الى غرفة الجلوس التى كانت تحتوى خزانة كبيرة

عن الكتب : ومقاعد مريحة ، وسجادة فاخرة : ومزيلة من الصوف
على الجدران ، وستائر على النوافذ ، وخزانة للطعام وضعت
قوائمها فى اوعية مائبة لحماية الاطعمة من اغارات النمل .
وكان التابع يعد المائدة لغداء شخص واحد .

وساله سكوبى قائلا :

— ماذا حدث للسيدة يا على ؟ .

ورد التابع على قائلا :

— الم فى المعدة . .

واوما سكوبى براسه ، وراح يتناول طعامه وتابعه الامين يقوم
على خدمته ، وكان سكوبى يختلس النظر بين الحين والآخر الى
وجه تابعه ، ثم يشعر بفيض من الراحة يغمره ، وكان يقول لنفسه :
« لو كان الناس جميعا لهم وفاء واخلاص هذا التابع على ، اذن
لما عرف احد معنى الشقاء » .

وتذكر عدد المحاولات التى بذلها الاوربيون ليظفروا بخدمات
تابعة على ، ولا سيما حين كان يغيب عنه بضعة أشهر اثناء عطلته :
ولكن عليا كان دائما اول من يهرع لاستقباله على الميناء .

وفجأة سمع صوت زوجته المتذمر وهى تناديه :

— تيكى . . تيكى ! .

واسرع اليها . .

كانت جالسة تحت الكلة ، شاحبة الوجه : ذابلة الميتين :
لتاقبل عليها ملهوها يقول :

— هل تشعرين بتحسن يا حبيبتى ؟ .

— كانت المسز كاسل تزورنى .

— اذن فلك العذر بالشعور بالمرض بعد هذه الزيارة .

— وكات تحدثنى عنك .

فتظاهر بالابتسام وقال :

— عنى انا ؟

— قالت ان الحكماء سيحال الى الاستبداع ؟ وانهم سينتظونك في الترقية .

— يبدو انها تتخيل اشياء كثيرة في احلامها .

— المهم . . هل هذا صحيح ؟

افهم كتفيه في استسلام وقال :

— نعم . وكنت اعرف هذه الحقيقة منذ اسابيع . ولكن . .

لا عليك يا عزيزتى .

فقالت لويز بصوت كاللولة :

— اننى لن استطيع ان اذهب الى النادى واواجه نظرات

الشماتة او الرئاء بعد اليوم .

— ان الامر ليس الى هذا الحد من السوء ، وليست هذه

اول مرة يتخطى فيها المسؤولون احد الموظفين في الترقية .

— انك ستستقيل ياتيكى . اليس كذلك ؟

— اعتقد اننى لا استطيع ان افعل هذا يا حبيبتى .

— ان المسز كاسل في جانبك . انها ثائرة جدا على هذا

الوضع . وهى تقول ان الجميع يتحدثون عن هذا الموضوع .

هل انت من الذين يأخذون الرشوة من التجار يا تيكى ؟!

— لا يا عزيزتى .

فتنهدت لويز وقالت :

— حمدا لله . لقد شعرت بتعاسة بالفه حين سمعت هذا

وتركت القداس قبل ان تنتهى مراسمه ، ولا شك ان هؤلاء

المتقولين ظالمون . ولكن عليك ياتيكى الاتخاذ الامر بهذه البساطة . .

هلك ان تفكر فى امرى .

— طبعاً طبعاً يا عزيزتى .

ثم جلس على حافة الفراش ، ومد يده من تحت الكلة ، ولس

وجدها ، وعندئذ بدأت حبات العرق تتجمع فى مكان اللبس ، من

نقطة حرارة الجو ، وعاد هو يقول :

— اننى افكر فى امرك كثيراً بالويز . ولكننى امضيت هنا

لخمسة عشر عاما ، ولهذا اعتقد اننى الفت هذا المكان ؟ ولن اشعر
بالراحة فى مكان آخر اذا طلبت تقلى .
- انك تستطيع ان تستقيل .
- ان المعاش لن يكفى

- اعتقد ان فى مقدورى ان اكسب بعض المال من الكتابة .
لقد قالت المسز كاسل فى ذلك اليوم اننى موهوبة وينبغى ان
استغل مواهبى فى الكتابة ونظم الشعر لكسب المال . آه لو كان فى
مقدورنا ان نذهب الى جنوب افريقيا . اننى واثقة من قدرى
على احتمال الحياة هناك .

- لعلى استطيع ان احصل لك على تذكرة سفر الى هناك .
ان حوادث اغراق البواخر قد قلت فى الاسابيع الأخيرة . ومن
حقك ان تستمتعى باجازة طويلة . .

فقاطعته قائلة :

- لقد جاء وقت كنت تفكر فيه فى الاستقالة ؟ وتضع مشروعات
حياتنا المقبلة .

فقال مراوفا :

- ان الانسان يتغير مع مرور الزمن يا حبيبتى .
فقلت فى حدة :

- كأنك لن تفتقد فى حين اقضى الاجازة بعيدة عنك .
فضغط على يدها برفق وقال :

- ما هذا اللغو يا عزيزتى ؟ يجب ان تنهضى وتتناولى بعض
الطعام .

- نيكى . . هل تحب احدا . . غير نفسك ؟

- لا . . اننى احب نفسى فقط . . وعلى ايضا . . لقد نسيت
هلى ، فانى احبه ايضا . . اما انت . .
فقاطعته قائلة :

- وأخت على .

- هل له أخت ؟

« ان لهم جميعا اخوات. اليس كذلك ؟ لماذا لم تحضر القدامى اليوم ؟

– كانت بوبتي للعمل هذا الصباح ، هل نسيت هذا ؟
– 'الم يكن في مقدورك أن تغير هذه التوبة ؟ ان إيمانك ضعيف يا تيكى .

– ان لك من التدين والتقوى ما يكفيننا معا . هلم يا عزيزتى لتأكل شيئا .

– تيكى .. احيانا أظن انك لم تعتنق المذهب الكاثوليكي الا لكى تتزوجنى . انه لايعنى فى نظرك شيئا : اليس كذلك ؟

– اسمعى يا حبيبتى . انزلى وتناولى بعض الطعام ، ثم امضى فى السيارة الى البلاج لتنعى ببعض الهواء المنعش .

وشردت بنظراتها نحو النافذة وتمتعت قائلة :
– لشد ما كان الموقف سيتغير لو انك جئت وقلت لى انهم

سيرقونك الى منصب الحكمدار .
فقال لها ببطء :

– انت تعرفين يا عزيزتى ان اعباء المحافظة على الأمن هنا ، ولاسيما فى هذه الفترة من الحرب ، جسيمة .. ان قوات حكومة فيشى مرابطة وراء الحدود ، وعمليات تهريب الماس لا تنقطع .. ولا شك ان منصب الحكمدارية يحتاج الى رجل أصغر سنا منى ، واقدر على تحمل هذه الأعباء .

– اننى لم افكر فى هذا كله .

– هذا هو السبب الوحيد . انها الحرب . ولا شيء غيرها .

– ان الحرب تقلب كل شيء رأسا على عقب .. اليس كذلك ؟

– انها تتيح الفرص للأصغر سنا .

« حسنا يا حبيبى .. لسوف أهبط معك وأحاول أن اتناول

قييئا من اللحم البارد .

تسحب يده من يدها ، وكانت قطرات العرق تتساقط منى ؟

لهم قال :

« هذا أحسن » تنوف أخبر عليا ليعد لك المائدة »



وفي المساء ، تغير الجو وأمسى منعشا .. وبدأت النسمات البليبة تهب من ناحية البحر ، وتختلط بالزهور الكثيرة النامية في كل مكان ، وتحمل أريجها كالأنفاس العاطرة . وكان سكوبي يقود سيارته ، وزوجته بجواره ، في الطريق الممتد الى أعلى التلال ، بحيث يقوم نادى المستعمرة . وكانت زوجته تقول :

« ترى هل سنجد احدا هناك ؟ »

« بكل تأكيد .. فان سيارة المكتبة العامة وصلت اليوم »

« اذن اسرع . فان الجو داخل السيارة لا يطاق . »

وبعد برهة قالت :

« ان الكتب في المرة السابقة وصلت في حالة يرثى لها . »

« احقا ! ! »

ووصلت السيارة اخيرا الى مدخل النادى ، وكان عدد السيارات الواقفة فى الانتظار ينم على ان عدد الوافدين على النادى فى تلك الليلة كبير .

وافترق سكوبي عن زوجته داخل قاعات النادى ، وفيما هو يفحص بعض الكتب الواردة الى المستعمرة ، سمع حديثا يدور بأصوات عالية بين لفيف من الاعضاء ، فتقدم منهم حيث سمع مفتش الامن المدعو فيلوز يقول للضابط برجستوك ، الشاب :

« اننى لا اوافق طبعا على فتح ابواب النادى لكل وافد »

جديد .. اننى لست مغرورا ولا رجعيا ، ولكن لابد من أن يكون لكل شيء حد معين . ان علينا أن نرعى مصالح زوجاتنا ايضا »

وقال سكوبي متسائلا :

« ماذا حدث يا فيلوز ؟ »

« قالت فيلوز اليه وقال بنفس الحدة :

« اننى اتحدث عن أعضاء الشرف بالنادى . لا يجوز لهم أن »

« وصحبوا معهم زائرين ايا كانت مراكزهم . لقد حدث منذ بضعة »

أيام أن سحب أحدهم جنديا برتبة نقر . ومهما بلغت الروح الديمقراطية في الجيش ، فإن هذا لا يكون على حسابنا هنا . علينا ألا ننسى أن المشروبات الروحية في هذه الأيام لاتكاد تكفى الأعضاء
... فكيف بالزائرين ؟

وقال الضابط برجستوك وهو يتمايل من فرط السكر :
- هذا هو المهم .

وقال سكوبى :

- ولكن .. ما سبب هذا كله ؟

وقال فيلوز :

- ان طبيب الاسنان في الوحدة التاسعة والأربعين قد أحضر معه الليلة شابا يدعى ويلسون وطلب ان ينضم الى النادى . وقد أثار هذا في نفوسنا الحرج الشديد .

- لماذا ؟ ماذا يعيبه ؟

- انه موظف بالشركة التجارية لافريقيا الغربية . فماذا يريد من الانضمام الى ناد كهذا ؟

وقال سكوبى

- واين هذا المدعو ويلسون ؟

فاشار برجستوك الى حيث كان يقف ويلسون وقال :

- انه الواقف هناك ، ان المسكين يقف كما ترى بمفرده ...

لقد جاء منذ ايام قليلة الى المستعمرة .

وكان ويلسون واقفا بمفرده حقا ، ينظر الى خارطة بارزة

تبين معالم الساحل الافريقى الغربى . وفى تلك اللحظة تقدم

نحوه سكوبى ورجل آخر يدعى رايت ، قال له :

- هل انت ويلسون ؟ لقد رايت اسمك فى سجل الفندق اليوم ..

- نعم .

- اتنى رايت .. مساعد السكرتير العام للمحافظة .. وهذا

هو الميجور سكوبى نائب الحكمدار ..

وقال ويلسون وهو يضافح سكوبى :

- لقد رايتك هذا الصباح من شرفة فندق يدفورد ..

وشعر سكوبى بالمعطف عليه وهو يراه منبؤذا كالكلب الغريب
ومن ثم قال له :

— اشرب معى كأسا ؟

— يشرفنى هذا يا سيدى .

وتقدمت عندئذ لويز ، فقال سكوبى يقدمه اليها !

— وهذه زوجتى . . تعالى بالويز . . هذا هو المستر ويلسون .

فقال لويز بتحفظ :

— لقد سمعت الكثير عن المستر ويلسون الليلة .

فابتسم سكوبى وقال :

— اترى . . انك رجل مشهور ! ويبدو انك نجحت فى اقتحامك

معقل نادى هذه المستعمرة .

— ارجو الا اكون متطفلا . . لقد دعانى الميجور كوبر طبيع

الاسنان .

وقال رايت منصرفا :

— هذا يذكرنى بانى اريد ان احدد موعدا مع الدكتور كوبر .

اخشى ان يكون فى لثتى خراج .

وبعد انصرافه ، قال ويلسون :

— عندما اخبرنى كوبر ان سيارة المكتبة العامة ستصل النادى

الليلة ، رايت ان انتهاز الفرصة لاشترى بعض الكتب .

وقالت لويز وقد انبسطت اسارير وجهها :

— احبب القراءة يا مستر ويلسون !

وادرك سكوبى ان زوجته سوف تأخذ هذا الشاب المسكين

تحت جناحها ، ولاسيما لانه وافد جديد لايعرف شيئا كثيرا من

لشئون المستعمرة .

وقال ويلسون متلثما :

— نعم .

— اى نوع من القراءة . . اننى احب قراءة الشعر .

وكنتم سكوبى انفاسه وهو يرجو فى اعماق نفسه ان يكون

ويلسون من هواة قراءة الشعر . ولم يلبث أن تنهد في اربطاح
عندما سمعه يقول :

- نعم .. اننى ايضا احب قراءة الشعر .
وقال سكوبى لنفسه :

- حمدا لله .. لقد وجدت لويز صديقا يحب الشعر .
لأنك أنها ستمضى السهرة سعيدة .
ومضى بعيدا وهو مطمئن على زوجته .

وقال له أحد أعضاء النادي حين رآه متوهج الوجه :

- كن على حذر ياسكوبى . ان هذا الجو لا يصلح للانفعالات
الشديدة .. مارايك فى كأس .

وجلس الاثنان الى مائدة فى ركن الصالة ، ومال عضو النادي
على اذن سكوبى وقال له :

- هل رأيت ذلك المدعو ويلسون ؟

- نعم .

- يقول عن نفسه انه يعمل فى الشركة التجارية لافريقبا
الغريبة .

- هذا صحيح .

- ولكننى سمعت انه رجل غامض موقد هنا لهمة غامضة .
فما رأيك ؟

ونظر سكوبى الى حيث كان ويلسون يقف مع لويز الباسمة
السعيدة ، ثم قال :

- لا اعرف عنه الا انه يحب الشعر .. وهذا يكفى .
وكانت لويز فى تلك اللحظة تقول لويلسون باسمه :

- يجب ان تأتى الينا قريبا وتتناول معنا طعام العشاء .
كان لدى فى مكتبة بيتى عددا كبيرا من دواوين الشعر لكبار الشعراء
فى العالم .

فقال ويلسون وهو يتأملها بوجه مضطرب بالانفعال :

- سمعنى هذا .

« ما رايك الليلة ؟ »

وفي تلك اللحظة اقبل سكوبى ليتخبر زوجته بأنه يريد ان يتصرف ، وعندئذ قالت له :

- انصرف انت يا سكوبى ، اما انا فسابقى هنا قليلا .. وربما عدت مع المستر ويلسون لكى امره كتابا ..
وانصرف سكوبى وهو يشعر بان ويلسون انقذ الموقف وحول الليلة من التماسه الى السعادة .

« الفصل الثانى »

« حديث عن الحب »

تقاد سكوبى النادى وذهب فى جولة ليلية كالعتاد فى شوارع الميناء ، وحول المخازن وفى مداخل الأرصفة ، وفيما كان يصعد بسيارته أحد التلال ، شاهد سيارة التاجر اللبناني يوسف واقفة ، وقد جلس يوسف فى المقعد الامامى نائما كما بدا لسكوبى ، وغادر هذا سيارته ، وتقدم نحو يوسف الذى كان يبدو بشعره الأبيض الفزير ووجهه الاحمر المكتنز وقميصه المفتوح عند العنق كرجل رياضى له بطولات سابقة فى حمل الاثقال .

وقال له سكوبى فى صوت ينم عن الضيق :

- ماذا بك يا يوسف ؟ هل تعطلت سيارتك ؟ اتريد مساعدة ؟
وفتح يوسف عينيه ، وافترت شفتاه عن بسمة كشفت عن أسنان ذهبية ، ثم قال :

- اوه .. الميجور سكوبى .. حقا ان الصديق الحق ، هو الصديق الذى ينفع فى الشدة .

وقال سكوبى لنفسه وهو يكظم « ترى لو رأتى احد الان فى هذه الساعة من الليل ابادل الحديث مع يوسف ، فماذا يقول ؟ الا يكون من حقه ان يؤكد الشائعات بانى اتناول منه الرشاوى ؟ »

ولكنه هر كتفيه ولم ينظر الى التاجر الا على انه رجل فى مهنة ، ومن ثم قال :

« ألا تريد شيئا ؟ »

« لقد فرغ البنزين منذ نصف ساعة ، وهرت سيارات كثيرة
أبى سائقوها أن يتوقفوا ، ومن ثم أخذت ادعو الله أن يرسل إلى
رجلا لا تنقصه الشهامة . . . فإذا هو أنت . »
« ليس لدى فائض من البنزين لأزودك به . »

« فغادر يوسف سيارته ، وقال وهو يفتح باب سيارة سكوبي
ويجلس بجانبه : »

« ان كل ما أرجوه أن توصلنى إلى المدينة ، وسوف أرسل
السائق بالبنزين ليعود بالسيارة . »
وفيما كان سكوبي ينطلق بالسيارة ، قال له يوسف :

« هل حقا ما سمعت عن تركك للخدمة ؟ »

« لا . . . اننى باق فى عملى . »

« آوه ، انى آسف . . الواقع اننا معشر اصحاب المتاجر
لأنملك إلا أن نسمع الكثير من الشائعات . »
« كيف حال التجارة يا يوسف ؟ »

« ليست سيئة ، وليست جيدة . »

« لقد سمعت أنك حصلت على ثروة ضخمة منذ قيام
الحرب . انها الشائعات طبعاً يا يوسف .
فهو يوسف كتفيه وقال :

« انك تعرف كيف حال التجارة فى هذه السنوات . ان
متجرى هنا فى شارع تاون حسن الأحوال لانى اشرف عليه
بنفسى . وكذلك الحال فى متجرى بشارع ماكوبى لان اختى تدير
بنفسها . أما متاجرئ فى شارعى بوند ستريت وديربان ستريت
فحالتها سيئة لأن عمالها يخدعوننى منتهزين فرصة جهلى بالقراءة
والكتابة . »

« ان الشائعات تقول انك تحتفظ بجميع ايراداتك ومصرفاتك
وزماداتك واثمان سلعك فى رأسك :
فارسل يوسف ضحكة قصيرة وقال :

« إن ذاكرتي لا بأس بها . إلا انها تيجلنى مؤرقا طيلة الليل »
ولولا استعانتى بكأس أو كاسين من الويسكى لما عرفت طعم النوح »
- أين تريد أن تهبط ؟

« أوه .» أريد أن امضى الى بيتى لانام ياميجيون سكوبى .
وبيتى فى شارع تاون . ما رأيك فى أن تشرب معى كاسا .»
- آسف يا يوسف ، فانى فى وقت العمل الآن .»

- هل تسمح لى اذن بارسال مقطع من القماش الحريرى
الفاخر للمسز لويز اعرابا عن شكرى لك ؟
- هذا آخر شيء اسمح به ؟

فاوما يوسف براسه وقال :

- نعم ، نعم ، ان لك العذر . الواقع ان التجار امثال زميلى
طالوت قد افسدوا كل شيء بما يقدمونه من رشاوى لرجال
الشرطة .

فابتسم سكوبى وقال :

- انك تمنى أن تبعد طالوت عن طريقك لانه أقوى منافس
لك فى التجارة ، اليس كذلك ؟

- نعم ياميجور .. ان ازاحته من الطريق سيكون فى صالحى
وصالحك أيضا .

- لقد بعث له بعض الماس المزيف فى العام الماضى .. اليس
كذلك ؟

- أوه ميجور سكوبى ؟ انك لاتعتقد حقا اننى أهبط الى هذا
المستوى . اننا معشر الجالية اللبنانية هنا نعانى الكثير من الظلم
بسبب هذه الشائعات عن تهريب الماس . كما انه لايعقل أن اخذع
هوأطنا لى .»

فقال سكوبى بحزم :

- ان عمليات تهريب الماس منافية للقانون . ومع ذلك فأن
بعض المهربين يجدون الشجاعة الكافية ليلفوا الشرطة عن خداع
بعضهم البعض فى القيام بهذه العمليات .

- انهم يا ميجور سكوبى جهلاء حمقى .

« ولكنك لست جاهلا ولا احمق يا يوسف ؟

- ان تثبت الحقيقة ياميجور سكوبى قلت لك ان الجاسم
الاحمق هو طالوت الذى قدم بلاغا يشكونى فيه بانى بعت له
ماسا مزيفا .

وهز سكوبى كتفيه وقال :

- اسمع يا يوسف ، لسوف ياتى اليوم الذى اقبض فيه عليك
متلبسا بمخالفة القانون .. وعندئذ لن يجديك هذا التظاهر
بالبراءة .

وابتسم يوسف قائلا :

- ربما .. وربما استمرت الصداقة وطيدة بيننا .. وهذا
هو ما ارجوه من صميم قلبى .

ولما وصلا الى باب بيت يوسف حيث اسرع احد خدمه لاستقباله
قال التاجر وهو يهبط من السيارة ؟

- اننى ارجو ان تشرب معى كاسا يا ميجور سكوبى .

- لا ... وشكرا ..

- ان الباخرة اسبرانكا ستصل الى الميناء فدا .. اليس كذلك ؟
- ربما .

- الا ترى ياميجور سكوبى ان من اضاعة الوقت هذه الحملات

التفتيشية التى تقومون بها بحثا عن الماسى المهرب فى البواخر ؟
ان كل مجهود يبذل فى هذا السبيل ، هو مجهود ضائع مالم يكن
لديكم معلومات موثوق بها عن الاماكن التى يخبأ فيها الماسر المهرب
الى اليس كذلك .

- هذا صحيح .

- فهل تعتقد انك ستعثر يوما على قطعة ماس مهربة فى

باخرة .

- لا ..

- ولا انا ايضا .

واستقل سكوبى سيارته فى طريق العودة الى بيته وهو

يشعر بالراحة . ان زوجته لويز لابد ان تكون سعيدة الان وهى

بجاسة مع هذا الوافد الجديد المدعو ويلسون ؟ تعرض عليه دواوين الشعر ، وتقرأ له بعض القصائد ، او تسمعه وهو يقرأ لها بعضها . ومن ثم فان فى مقدوره ان يواجه الساعات التالية مطمئنا الى ان لويز لن تزعجه بحديثها عن منصب الحكمداية الذى أفلت منها ، وعن ضيقها بالحياة فى هذه المستعمرة ، وعن رغبتها فى السفر الى مكان آخر تستجم فيه ..

وههد بالسياره الى تابعه على لكى يودعها الجراج ، ثم طلب منه ان يأوى الى مخدعه بعد ان يفرغ من هذه المهمة ، ثم راح يصعد الى غرفة الجلوس وهو يفكر فى الباخرة اسبرانكا التى ستصل فى اليوم التالى ، وفى حملة التفتيش التى سيقوم بها ، وفى الساعات الطويلة الضائعة والجهد المضنى الذى لاجدوى منه أثناء قيامه بهذه الحملة . وفى غرفة الجلوس ، رأى لويز جالسة فى مقعد وثير ، وعند قدميها جلس ويلسون ، وعلى الأرض حولهما عدد من كتب الشعر ، وكان وجه لويز ينضح بالسعادة والرضا .

وبعد ان حياهما ، قالت له لويز :

- هل تستطيع يا حبيبى تيكى ان توصل المستر ويلسون الى الفندق بالسيارة ؟

وقال ويلسون بسرعة :

- اننى استطيع المشى .

- لا .. لا .. هذا غير معقول .

وقال سكوبى :

- ولماذا تمشى وسيارتى تحت امرك ! هلم الآن اذا شئت .

وقال ويلسون وهو يصافح لويز مودعا :

- شكرا على هذه الجلسة اللطيفة يامسر سكوبى .

وقال سكوبى وهو يرى وجه زوجته الناضج بالسعادة :

- يجب ان تكرر الزيارة يا مستر ويلسون كلما وجدت

وقت فراغ .

ثم صاحبه ليحمله فى سيارته الى فندق بدفورد .

ووقف مكتوبى فى قرفة نومه بعد عودته ؟ وبعد أن خلع ملابس
الخروج وارتدى ثياب النوم ، وراح يرهف السمع لأنفاس لويز
الراقدة فى الفراش تحت الكلة . وادرك من عدم انتظام أنفاسها
أنها لم تستغرق بعد فى النوم ، ومن ثم وضع يده ولمس شعرها
المبلل بالعرق ، ولكنها ظلت متظاهرة بالنوم كأنها تخشى أن تفتح
عينها وتفضح سرا تخفيه فى أعماق نفسها . وانحدرت أصابعه
الى أجفانها ، فإذا هى مبللة ، لا بالعرق ، وإنما بالدموع ، وخفق
قلبه ، وشعر أن مسئوليته فى إسعادها تحتم عليه أن يخفف عنها
أحزانها فى تلك اللحظة ، رغم إحساسه العميق بالحاجة الى النوم .

وقال لها كمادته دائما فى مثل هذه المواقف ؟

— يا حبيبتى .. اننى أحبك .

وقالت كما اعتادت دائما أن تقول :

— اننى أعرف هذا .. أعرف هذا .

ودقت الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، وادرك فى تعجب
وارهاق أن هذا الموقف سيمتد ساعتين أو ثلاثا حتى تبدأ أعصاب
لويز وتستغرق فى النوم . ولكن عليه أن يحتمل كل مزيد من
التمب فى سبيل إسعادها . وقال لها وهو يتحسس جبينها ؟

— ان موسم الأمطار وشيك ، وسوف تشعرين بالتحسن
هنا .

فقالت وهى تكتم شهقة بكاء :

— اننى أشعر بالتحسن الآن .

— اذن لماذا تبكين .. أخبرينى .. أخبرينى تيكى !

ورغم كراهيته لهذا الاسم الذى تدلله به زوجته ، ورغم تولد
أعصابه حين يسمعهما تناديه به ، فإنه أرضاء لها ، يذكرها به كلما
قفلت عن مناداته به ، ومن ثم قالت بصوت باك :

— أوه .. تيكى .. تيكى .. اننى لا أستطيع الاحتمال أكثر
منها فعلت .

— كنت أظنك الليلة سعيدة .

— لم كنت سعيدة . ولكن أية سعادة هذه التي استمتعنا
من تطف كاتيب حسابات معي ؟ ! أخبرني يا بيكي ، لماذا
لا يحبونني هنا ؟

— ان النساء يغرن منك ، والرجال غاضبون او ساخطون لانك
لا تستجيبين لمغازلاتهم .

وعادت تقول في صوت باك يائس :

— ان ويلسون فقط . . ويلسون فقط . هو الذي كان لطيفا
معي !
— انه شاب لاغبار عليه .

— ومع ذلك كانوا ساخطين للذهابه الى النادى الليلة ، ويعتبرونه
متطفلا عليهم . . ولا شك انهم سيضحكون منى ومنه بعد ان
تأخرونا النادى معا ؟ ارجوك يا بيكي . . يجب ان تغادر هذه المدينة
. . يجب . . ولو الى اى مكان حيث تبدأ حياتنا من جديد .
وقال سكوبى وهو لا يزال جالسا على حافة الفراش بمد البصر
الى البحر الساجى ، عبر النافذة المفتوحة :

— طبعا طبعا يا حبيبتي . . ولكن الى اين ؟
— أستطيع ان اذهب الى جنوب افريقيا وانتظر حتى تستقيل
ومن هناك يمكننا ان نذهب الى اى مكان آخر .

وجفل سكوبى فى اعماق نفسه . كان يعرف ان تحقيق هذا
الامل فى حكم المستحيل . ان معاشه لن يكفى لكى يحيا فى اى
مكان حياة طيبة ، وان الامل الوحيد لتوفير اسباب الحياة الرغدا
للوزير هو موته وحصولها على مبلغ التأمين الضخم الذى لا يدفع
الا فى حالة موته موتا طبيعيا فقط ، اما فيما عدا هذا ، فانه لن يستطيع
ان يوفر لها حياة أرغد ولا اكثر استقرارا مما هى فيها الآن .

وعادت هى تقول :

— بيكى . . اننى لم اعد أطيق البقاء هنا .
— اننى سأفتقدك اذا ذهبت وتركتنى بمفردى .
— لا يا بيكى . . اننى اعرف انك لن تفتقدنى .

« حسننا بالوزير ، لسوف احقق لك هذا الامل بوسيلة . ما »
وانا كما تعلمين على استعداد للتضحية بأى شيء من اجلك .
فضغطت على يده وقالت :

« اتعنى ماتقول ياتيكي ، ايم انك تحاول فقط ان تهدى اعصابى ؟ »

« اؤكد لك يا حبيبتي اننى سابدل كل جهدى لتحقيق املك »
ولشد ماكانت دهشته حين رآها تستغرق فى النوم فورا
وقد ظلت ممسكة بأصبعه كأنها طفلة تخاف من شيء . واحس
هو ان العبء يرقد بجانبه الآن ، وان عليه ان يعد نفسه لحمله غدا »

بعد ان فرغ سكوبى واعوانه من تفتيش الباخرة اسبرانكا
على غير جدوى كالمعتاد ، قال لنفسه : يجب الآن ان اصود الى
البيت . . . وسوف اضع السيارة فى الجراج ، وسيتقدمنى على
بالمشعل لينير لى الطريق الى مدخل البيت ، وساجد لوزير جالسة
فى غرفة الجلوس بين النافذة والباب حتى تخفف من قسوة الحر
بالتيار الهوائى ، وسوف اقرا على وجهها كل ماكان يدور فى ذهنها
ظيلة النهار ، ولا شك انها كانت تأمل فى ان اكون قد اعددت لها
كل شيء للسفر الى جنوب افريقيا ، وانى ساقول لها « لقد سجلت
اسمك فى وكالة السفر الى جنوب افريقيا » ولكنها ستخشى الا
يكون شيء من هذا قد تم فعلا ولهذا سوف تنتظر حتى ابدا انا
الحديث ، وساحاول ان اتحدث عن أى شيء تحت الشمس لارجى
شعورها بالتعاسة أطول فترة ممكنة . وعلى الجملة سوف يتكرر
الموقف الذى امسى جزوا من حياتهما اليومية .

وراح يحفظ فى ذاكرته كل كلمة سيقولها وهو يضع السيارة
فى الجراج . واذا كان بعض المحكوم عليهم بالاعدام فى حاجة
شديدة الى الشجاعة وهم فى الطريق الى ساحة التنفيذ ، فقد
كان هو ايضا فى حاجة الى هذه الشجاعة لاحتمال تعاسة انسان
آخر ، هو مسئول عن توفير السعادة له .

« ونسى كل شيء .. نسي عمله اليومي ، ونسى زملاءه ؟ ونسى
أفئله في الحصول على قرض بضمان مرتبه او بضمان (بوليصه)
التأمين ، ولم يعد يذكر الا الموقف الذي ينتظره بعد لحظات ..
لسوف ادخل واقول لها « طابت ليلتك يا حبيبتي » وسوف تقول
هى لى « طابت ليلتك يا حبيبى ، كيف حال العمل اليوم » وسوف
اتحدث واتحدث وانا اعلم اننى اقترب فى كل لحظة من العبارة
التي لا مفر منها « وكيف حالك أنت يا عزيزتى » وهنا يفتح الباب
لتدخل التعاسة منه .

وقال لها وهو يستدير بسرعة ويصب بعض الشراب فى كأسين :
- وكيف حالك أنت يا عزيزتى ؟ مارايك فى كأس شراب ؟
وقالت لويژ :

- أنك لا تريد حقا أن تعرف كيف كان حالى اليوم .
- لالا يا حبيبتي .. اننى مهتم جدا .. كيف قضيت اليوم ؟
- تيكى ؟ لماذا تلجأ الى المراوغة ؟ لماذا لاتقول بصراحة أنك
لشلت فى حجز مكان لى للسفر الى فى اقرب فرصة !
وابتسم فى تعاسة وهو يدير الكأس فى يده ، واخيرا قال :
- اننى لم افقد الامل بعد . وعليك ان تثقى فى عزيزك تيكى ،
ان هذه المسألة تحتاج لوقت طويل كما تعلمين .
- هل ذهبت الى البنك ؟
- نعم .
- ولم تستطع ان تحصل على قرض ؟
- لا .. لاننى لم اسدد بعد القرض السابق كله . مارايك فى
كأس آخر ؟

وامسكت بالكأس ، ونظرت اليه طويلا وقد بدت لسكوبى انها
أكبرت عشرة اعوام فى يوم واحد . وكانت تبدو له هكذا دائما
كلما اسرفت فى البكاء . وازداد احساسه بالمطفعل عليها ، فقال لها :
- تاكدى يا عزيزتى انى سأجد حلا لهذه المشكلة .. اشربى
كأسك ..

— تيكي . . . اننى لم أعد أطيق الحياة فى هذا المكان . لقد قلت
هكذا كثيرا . . . كل يوم تقريبا . ولكننى اعنى ما اقول اليوم .
لسوف اجن يا تيكي . . . اننى اشعر بالوحدة . . . ليس لى صديق
واحد هنا .

— دعينا نستقبل ويلسون غدا .
— اوه . . . ارجوك ياتيكي . . . لا تذكر ويلسون دائما . . . انه
هيفدو واحدا منهم بعد ان تمتد اقامته اسبوعين او ثلاثة . ارجوك
. . . ارجوك ان تفعل شيئا .

— سوف افعل شيئا يا حبيبتي .
— اخبرنى بما ستفعله .
ولما شرد بنظراته برهة ، قالت بهدوء :
— انك لاتحبى يا تيكي .

وادرك عندئذ انه وصل معها الى قلب العاصفة حيث الهدوء
النسبى المؤقت . وما عليه الا ان يصبر قليلا حتى يخرج من
العاصفة كلها بسلام . وما عليه الا ان يكذب . . . لان الكذب
هو الوسيلة الوحيدة للخروج من العاصفة بعد ان دخلها معا
بالصدق . وهو يعرف فى قرارة نفسه ان الصدق لا يهم احدا
الا العلماء والفلاسفة الذين يبحثون عنه فى ثوب الحقيقة . اما
فى العلاقات البشرية فان التعاطف والمجاملات « كلها كذب » فانها
يساوى الف صدق يسبب التعاسة للغير . ومن ثم قال :
— لا لا يا حبيبتي . . . اذا لم اكن احبك ، فمن احب اذن ؟

— انك لاتحب احدا ياتيكي .
— الهذا اسئء معاملتك دائما ؟ !
وكان يحاول بالعبارة الاخيرة ان يحول الحديث الى مجرى
مزح ، ولكنها ابت ان تتجارب معه وقالت :

— انك تحسن معاملتى بدافع من شعورك العميق بالواجب
والمسئولية فقط . . . انك لم تحب احدا قط منذ ان ماتت ابنتنا
الوحيدة كاترين .

— الا نفسي طبعاً .. انك تقولين دائماً اننى احب نفسي .
— لا .. لا اعتقد انك تحب حتى نفسك .

وحاول ان يدافع عن نفسه ، وهو فى قلب العاصفة ، بالمرأغة
فى الحديث ، ومن ثم قال :

— اننى احاول دائماً ان اوفر لك السعادة ، وهذا مايدفعنى
الى التفانى فى العمل ليل نهار .
— تيكى .. انك لم تقل بعد انك تحبنى .. قلها يا تيكى .
واستمر فى قولها .

ورمقها من فوق حافة كأس الشراب . وتذكر حبه لها يوم
تزوجها اى منذ خمسة عشر عاماً .. وحاول ان يعرف متى وكيف
توقف هذا الحب ؟ ولماذا ؟ هل الحب حقاً مجرد وهم لا يلبث ان
يفيق الانسان منه ؟ الا يوجد شىء فى هذه الدنيا يضمن بقاء الحب
الى الابد ! ومحاولاته لتوفير السعادة لها ، ليست نوعاً من الحب
إم هى ناعمة فقط : كما قالت ، من شعوره بالواجب ؟
وسمعها وهى تقول :

— تيكى .. ليس لى فى الحياة شىء الا انت .. بينما تستمتع
انت بكل شىء .
وهنا قال بسرعة :

— ومع ذلك فانك تريدن ان تتركينى !

— اجل .. لان وجودى معك لا يوفر لك السعادة ، ولان
وحيلى عنك سيحقق لك على الاقل الشعور بالسكينة والسلام .

واغمض عينيه حتى لاتقرا فيهما افكاره . وكان دائماً يعجب
لقوة ملاحظاتها ودقة استنتاجاتها .. انه حقاً يتمتع بكل شىء ؟
ولا ينقصه فقط الا الشعور بالسكينة والسلام ، ، وكان دائماً
يقول لنفسه انه لو عاد شاباً ، لعاش هذه الحياة نفسها بشرط
ان تتوافر فيها عناصر السكينة والسلام . ولكن هذه العناصر
لا يمكن ان تتوافر مع تحمله اعباء شخص آخر . أى ان السكينة
النفسية لا بد لها ، فى رايه ، من ان يعيش الانسان بلا زوجة لاتكف

عن التذمر ، ولا يكف هو عن الشعور الدائم بمسؤوليته لتوكل
اسباب السعادة لها ..

ترى .. هل يمكن أن توجد مثل هذه الزوجة ؟
وعادت هي تقول :

— نعم يا تيكى .. هذا هو رايي .. اذا انا رحلت عنك ، فسوف
تنعم انت بحياة كلها السكينة والسلام .

ولم يستطع ان يتمالك نفسه عن القول بصوت حاد
— كفى يا لوزير ؟ ماذا تعرفين انت عن الحياة فى سكينه
وسلام ؟

« الفصل الثالث »

« النبوءة !! »

تقادر ولسون عرفتة فى الفندق بعد ان ارتدى خير ما لديه من
ملابس . وكان يصفر نفما ينم عن شعوره بالسعادة ، لانه كان فى
طريقه الى نزعة خلوية مع لوزير . وكان قد التقى بها فى اليوم
السابق ، واتفق معها على القيام بهذه النزعة فى التلال المحيطة
بالمدينة ، حيث ينعمان معا بالمناظر الطبيعية وتبادل قراءة الشعر
.. ولا شك ان أبيات الشعر التى سيبادلانها ستدور حول الحب
من اول نظرة .

والتقى به زميله فى الفندق ، المستر هاريس ، فقال له وهو
يتأمله :

— أخشى ان تعود الليلة وملابسك هذه الاتيقة قد فسدت تماما
بسبب المطر .
— المطر ؟!

— نعم .. ان الجو يندثر بالمطر الليلة . وقد حل موسم الامطار
اخيرا .

— اتعنى ان من الافضل لى ان اخذ معى معطف المطر .
— نعم .

وفى تلك اللحظة ، تقدم منهما قارىء الكف الهندى ، وانحنى
بحبيهما باحترام . وعندئذ قال هاريس :

— لا مفر من أن تسلم كفك لصاحبنا هذا ، ان عاجلا او آجلا
ان هذا هو مصير كل نزيل فى الفندق ، ولن تشعر ابدا بالراحة
من مطاردته لك الا اذا تركته يقرأ لك الكف .

وكان ويلسون قد عاد الى غرفته ليأخذ معطف المطر ، وتبعه
هاريس وهو يتحدث عن الهندى . وقد اجاب ويلسون قائلا :
— اعتقد اننا سنجده قد انصرف حين تغادر الغرفة بعد قليل .

— بل اراهن انك ستجده مرابطا لك امام الحمام المشترك
ولكن .. الى اين انت ذاهب الليلة .. يبدو لى ان كل نزيل فى
الفندق ذاهب الليلة الى مكان ما .

فراح ويلسون يتأمل وجهه فى المرأة وهو يقول :

— سأخرج فى نزهة خلوية معها ..

— مع من ؟

— لويز .

— اوه !!

وقال ويلسون كأنما يتحدث الى نفسه :

— اننى لا ادرى كيف أمكنه ان يتزوجها !

— من ؟

— لويز ..

— هذا ما يحيرنا جميعا . ومع ذلك فان سكوبى ليس بالرجل

الذى تنفر منه النساء !

— ولكنها مذهشة .. رائعة !

فضحك هاريس وقال :

— هذه مسألة مزاج .. وما عليك الا أن تحاول الظفر بقلبهـا،

وسوف ترى ما سيحدث .

— يجب أن أسرع الآن .

ولكن الهندى كان فى انتظاره امام الحمام المشترك فى ردهة

الفندق ، وقال ويلسون بصوت مسموع وهو يعلم انه كاذب في قوله :

— اننى لا اومن بقراءة الغيب .

— ولا انا . ولكنه بارع حقا . لقد استطاع ان يظفر بى في الاسبوع الاول من اقامتى هنا . وقد قال لى اننى ساقبى هنا عامين ونصف عام ، وسخرت منه لان مدة عملى كانت لا تزيد عن عام واحد . اما الآن ، فقد علمت ، بعد مضى عام ونصف، انه الاصدق . وقال المنجم الهندى الذى كان يراقبهما من باب الحمام :

— ان لى خطاب شكر من مدير الزراعة ، وخطاب آخر من الحكمدار . . .

وقاطعه ويلسون قائلا :

— حسنا . . . افعل ما تريد ، واسرع . . .

وقال هاريس :

— يحسن ان انصرف انا قبل ان يكشف اسرارك امامى .

— اننى لست خائفا .

وقال الهندى باحترام :

— هل تسمح يا مستر ويلسون بالجلوس على حافة النانو في

الحمام .

ولما اطاعه ويلسون ، أمسك الهندى براحة يده وراح يمسحها ثم

قال :

— ان خطوط كفك تدل على اشياء كثيرة .

— ما هو اجرك بهذه المناسبة .

— حسب المركز يا سيدى . والذى فى مثل مركزك يجب ان

يدفع عشرة شلنات .

— اليس هذا اجرا كبيرا ؟

— ان صفار الضباط يدفعون خمسة شلنات .

فابتسم ويلسون وقال :

— اذن فانا فى فئة الشلنات الخمسة .

— اوه ، لا يا سيدى . . . لقد دفع لى مدير الزراعة جنيها كاملا .

- وانا لست الا كاتب حسابات .
- هذا ما تقوله انت ياسيدى . اما الميجور سكبوى فقد دفع
لى عشر شلنات .

- حسنا . . اليك الشلنات العشرة . هلم اقرا .
وعاد الهندى يتأمل راحة ويلسون ، ثم قال :

- انك هنا منذ اسبوعين . وانت فى بعض الليالى تشتم
بالضيق وتوتر الأعصاب . وتعتقد فى قرارة نفسك انك لم تتقدم
فى مهمتك كثيرا . .
وهنا قاطعه هاريس قائلا :

- مع من ؟!

ولكن الهندى استمر يقول :

- انك شديد الطموح ، خيالى النزعة الى حد كبير ، تقرا
الشعر كثيرا .

وضحك هاريس . ورفع ويلسون عينيه الى الهندى فى خوف
وتوجس ، ولكن هذا استمر يقول وهو يتابع باصبعه خطوط كف
ويلسون :

- انك رجل غامض ، ولا تحدث اصدقاءك عن هوايتك لقراءة
الشعر ، الا صديقا واحدا . . من الجنس اللطيف . انك شديد
الخجل ، ولكن عليك ان تكون اكثر شجاعة . فان امامك فرصة
ضخمة للنجاح .
وقال هاريس :

- ألم اقل لك هذا يا ويلسون ؟!

ولكن ويلسون كان يعلم ان الامر كله لا يتعدى لونا من الإبحاء
اذا آمن به المرء ، امكن ان يتحقق يوما . واخيرا قال للمنجيم
الهندى :

- انك لم تجربى بما يساوى عشرة شلنات ، اننى اريد ان
تذكر لى شيئا محددا سوف يحدث لى .
واخذ الهندى يزيد فى انحنائه على كف ويلسون ، ويمعن النظر
فى خطوطه ، ثم قال :

— لسوف تحوز نجاحا ضخما ؟ وستنال تقدير السلطات ؟
انجلترا .

— ولماذا سنانا تقدير هذه السلطات ؟

— لانك ستظفر بالرجل الذى تطارده .

وقال هاريس ضاحكا :

— عجباً ؟ انه يظن انك من رجال الشرطة .

وعاد الهندى يقول :

— وسوف تنجح فى حياتك الخاصة أيضا . ستظفر بالسيدة

التي اسرت قلبك . واخيرا سوف تبحر عائدا الى وطنك بعد ان

تحقق جميع آمالك .

وعاد هاريس يقول ضاحكا :

— الآن ارى ان هذه النبوءة تستحق عشرة شلنات حقا .

ونهض ويلسون من حافة الباتيو وقال :

— طابت ليلتك ايها المنجم ، اننى لا استطيع ان اكتب لك بطاقة

تزكية بناء على هذه المعلومات . . الا اذا صدقت فى النهاية طبعاً .

ما كاد ويلسون يغادر الفندق حتى التقى بجندى مراسلة

موفد من مكتب الحكمدار . وقال له الجندى ان الحكمدار يريد ان

يراك لمدة نصف ساعة ، ونظر ويلسون فى ساعة يده ، ورأى ان من

الممكن ان يفرغ من هذه المهمة ويحافظ على مواعده مع لويز فى نفس

الوقت .

وفيما هو يغادر مكتب الحكمدار ، كاد ان يصطدم بالميجور

مكوبى وهو فى طريقه الى نفس المكتب ، فقال له مكوبى :

— هاللو ويلسون . . ماذا تفعل هنا ؟

— كنت فى مقابلة مع الحكمدار بشأن جواز المرور . يبدو ان

الانسان هنا يحتاج الى جواز المرور كـلـمـا اراد ان يعضى الى

الميناء .

— ومتى ستزورنا مرة اخرى يا ويلسون ؟

« - اننى ساذهب الليلة فى نزهة خلوية مع مسز سكوبى اذا لم يكن لديك مانع ..

فاشرق وجهه سكوبى ابتهاجا وقال :

- لا . لا . مطلقا .. ان كل ما يسعد لويز يسعدنى .. وان البيت مفتوح لك فى كل وقت .

فنظر ويلسون اليه فى ريبة وقال :

- ولكننى اخشى ان اضيع وقتكما بزياراتى ..

- لا . لا . مطلقا .. ان الوقت فى هذا المكان لا ينتهى ..
وانا شخصا لا اعرف كيف اقضيه .. فانى لا احب القراءة ، وهى احسن وسيلة لقضاء الوقت كما يقولون . ولكن طبائع الناس تختلف كما تعلم .

وفجأة قال له :

- اننى لاعجب عن السبب الذى جعلك تاتى الى هذه البلاد يا ويلسون !

فتململ ويلسون فى وقفته وقال :

- ان على الانسان الذى ليس له هدف محدد ان يعضى مع تيارات الحياة .

- اوه .. اننى على العكس .. احب ان افكر وادبر ، بل انى افكر وادبر امور غيرى . وعليك انت فى هذه المرحلة من العمر ان تضع لحياتك هدفا محددًا .. طابت ليلتك .
ولما دخل سكوبى على الحكمدار ، قال له بعد ان تبادل معه التحية :

- لقد التقيت بالمستر ويلسون خارجا من مكتبك وانا فى طريقى اليك .

- آه .. ويلسون .. نعم . لقد جاء لزيارتى بشأن خلاف وقع بين مدير الشركة واحد رجالنا .

- ولكنه قال لى انه جاء بشأن جواز مرور !

- آه .. نعم .. حقا .. لقد تحدث معى بشأن جواز المرور ايضا يا سكوبى »

هكذا عبر ويلسون ولويز النهر مرة أخرى في طريق العودة ،
ووصلوا الى أول شارع بيرنسايد ، شاهد سيارة الشرطة الخاصة
بالرحلات واقفة أمام البيت ومصايحها الامامية والخلفية مضاءة ،
وبعض الاشخاص يروحون ويجيئون حاملين أشياء مختلفة من
البيت الى السيارة .

وقالت لويز وهي تبدأ في الجرى نحو البيت :
- ماذا حدث الآن ؟!

وأسرع ويلسون لاهث الانفاس وراءها . ولما وصلا الى السيارة
استقبلهما التابع على وقال في سعادة :
- ان السيد سيقوم برحلة عاجلة .

وفي غرفة الجلوس ، كان سكوبي جالسا والكأس في يده ، فلما
رأى لويز وويلسون داخلين ، قال لزوجته :
- اننى سعيد بعودتك الآن . لقد كدت ان اترك لك رسالة .

ورأى ويلسون انه كان يستعد فعلا لكتابة رسالة ، اذ كانت
امامه على المنضدة الورقة والقلم . وقالت لويز :
- لماذا .. ماذا حدث يا هنرى ؟!

- لقد صدرت الأوامر الى للذهاب الى مامبا .

- أما كان يمكن ان تنتظر القطار يوم الخميس !
- لا .

- هل استطيع الذهاب معك ؟

- ليس في هذه المرة يا عزيزتى .. اننى آسف . لسوف
أصحب (على) وأترك لك الخادم الصغير .
- ماذا حدث !

- وقع حادث للمعاون الشاب بمبرتون .

- حادث خطير !!

- جدا .. وما كان ينبغي ان يترك المسكين بمفرده في مناطق
كهنه ..

واستدار نحو ويلسون وأردف قائلا

- معلرة يا ويلسون .. تعال واشرب كأسا معى .. ان في
الثلاجة زجاجة سودا اذا شئت ..

وعادت لويز تقول:

- وكم يوما ستغيب يا حبيبى؟

- يومين على الاكثر .. ما رايك لو ذهبت للاقامة مع المسر؟
هاليفاكس حتى اعود؟

- لا .. اننى افضل البقاء هنا .

- كنت اريد ان اترك (على) واخذ الخادم الصغير ، ولكن
هذا لا يعرف كيف يطهو الطعام .

- لا يا حبيبى . انك ستعود اسعد حالا مع على ، ولاشك انك
ستستعيد معه ذكريات حياتكما قبل ان آتى انا الى هنا .
وقال ويلسون :

- اعتقد انه قد آن لى ان انصرف يا مستر سكوبى ، واخشى
ان اكون قد تسببت فى تأخير المسر سكوبى فى الخارج طويلا الليلة .

- اوه ... اننى لم اشعر بالقلق عليكما ، لأن الاب (وانك) جاء
واخبرنى انكما احتميتما من المطر المفاجىء فى غرفة ناظر المحطة
القديمة . وكان ينبغى ان يفعل هو هذا ايضا بدلا من ان يسل
ملابسه بالمطر وهو فى هذه السن الكبيرة .
- هل تسمح لى بالانصراف الآن يا سيدى ؟

- لا . لا . لماذا لا تبقى وتقضى السهرة مع لويز .. لاشك
انها ستشعر بالوحشة بعد رحيلى .. وسوف امضى بعد ان اشرب
هذه الكأس .

وقالت لويز :

- لماذا لم يرسلوا شخصا آخر اصغر منا يا تيكى . ان مثل
هذه الرحلة ستكون شاقة عليك وانت فى هذه السن . لماذا لم
يرسلوا الضابط تريزو ؟

- لقد طلب منى الحكمدار ان اذهب بنفسى، لان المعاون الشاب
بمبرتون انتحر ، والتحقيق يحتاج الى لباقة وحذر وقدرة على
الاحتمال .

وهتفت لويز قائلة :

— يا للمسكين ؟ لاشك انه لم يحتمل البقاء في تلك المنطقة الموحشة !

— لا .. بل يقال انه خسر مبالغ كبيرة في لعب الميسر واضطر لان يستدين من وكيل التاجر يوسف مبلغا عجز عن سداذه في الموعد المحدد .. ولكن هذا كله سوف ينكشف عند التحقيق .
وقال ويلسون :

— كنت أتمنى ان أقدم أية مساعدة ياسيدى .
— ان المساعدة التى تقدمها لى هى ان تبقى مع لويز وتحدث معها عن الكتب .

ولمح ويلسون لويز وهى تزعم شفتيها عندما ذكر زوجها «الكتب» كما سبق أن لمح سكوبى وهو يضغط على اسنانه حين سمعها تقول له «تيكى» . ولم يسمعه الا ان يعجب لهذه العلاقة البشرية التى تقوم على الايلام ، وتقبل الألم ، دون كلمة احتجاج !
ونفض سكوبى قائلا :

— الى اللقاء يا حبيبتى !

— الى اللقاء يا تيكى .

— اكرمى ويلسون وقدمى له كل ما يريد من شراب .
ولما رأى ويلسون لويز تقبل زوجها ، لعق شفتيه وأحس بطعم قبلتها أو على الأصح ، بطعم أحمر الشفاه ، لا يزال باقيا على شفتيه بعد القبلات الحارة العديدة التى تبادلها مع لويز في غرفة ناظس المحطة القديمة المهجورة . ولكنه لم يشعر بالفيرة وهو يراها تقبل زوجها ، وإنما أحس فقط بالضيق ، «ضيق الرجل الذى يريد ان يكتب رسالة هامة بقلم فاسد السن !»
وقال لها وهو واقف بجانبها يشيع بنظراته السيارة المتباعدة :

— كان ينبغى أن يرسلوا رجلا أصغر منا .

— انه الشخص الوحيد الذى يثق فيه الحكمदार ..

ثم أردفت قائلة وهى تعود مع ويلسون الى غرفة الجلوس !

— انه الشخص الثانى المثالى .. الشخص الذى يقوم بكل الأعمال بينما ينال الرئيس المباشر كل التقدير ..

وقال ويلسون!

- الا يحسن ان انصرف الآن؟! لعلك تريد ان تغيرى ملابسك
- نعم ، نعم .. يحسن ان تنصرف قبل ان يعرف كل من فى
المدينة انك بقيت معى على انفراد خمس دقائق بعد رحيل زوجى.
ثم ارسلت ضحكة قصيرة وقالت مردفة:
- لا سيما وليس فى البيت كله غير سرير واحد!
- الا تريد ان اقوم بأية خدمة قبل ان انصرف .

- نعم .. نعم .. يمكنك ان تصعد الى غرفة النوم وتتأكد من
انها خالية تماما من الفيران . اننى لا أريد الخادم الصغير ان يعلم
اننى اخاف من الفيران .. كما ارجو ان تطلق النافذة ، لان الفيران
تتسلل منها .

قرغ سكوبى من اجراءات التحقيق التى اجراها فى بلدة مامبا،
واشرف على مواراة جثة المعاون الشاب بمبرتون القبر قبل ان
تتعفن فى ذلك الجو الحار ، ثم ارسل يستدعى التاجر يوسف حين
هلم من وكيله انه موجود فى البلدة .
وفى الساعة الخامسة بعد الظهر ، اقبل عليه يوسف بوجهه
المكتنز الباسم دائما ، وشعره الابيض الغزير ، وجسمه الرياضى ،
وقال لسكوبى بعد ان حياه وتأمله مليا:

- اننى آسف اذ اراك حزينا على هذا النحو يا ميجور سكوبى .
- وانا آسف اذ اراك على الاطلاق .
- اوه .. انك دائما تسخر منى .
- اجلس يا يوسف واخبرنى عن علاقتك بمبرتون المسكين .
وترأخى يوسف فى مقعد خيزرانى وثير وقال:
- لم تكن لى علاقة مباشرة به ..

- هل المصادفة وحدها هى التى جعلتك مقيما هنا فى نفس
الوقت الذى أنتحر فيه المسكين بمبرتون!
- بل هى فى رأى العناية الالهية .
- اعتقد انه مدين لك بمبلغ كبير من المال ؟

— انه مدين لو كيل اعمالى هنا —

— ولا شك انك كنت بهذا الدين قد جعلته فى قبضتك ؟

— انك تظلمنى يا ميجور سكوبى . وعلى كل حال ، لقد مات وانتهى امره . واذا كان معاون الشرطة يريد ان يشتري حاجياته من متجرى ، فكيف يستطيع وكيلى ان يمنعه ؟ واذا منعه ، فماذا يحدث ؟ لابد ان يقع الصدام بينهما عاجلا او آجلا . وعندئذ سيعلم الحكمدار بالامر ، وسيعيد المعاون الى بلاده مجلا بالعار . واذا استمر المعاون فى شراء حاجياته ، فان الديون تتراكم عليه ، وان وكيلى لا يجد مفرًا من مطالبته بهذه الديون خوفا منى . واذا كان المعاون لا يكف عن شرب الخمر ولعب الميسر فانه يعجز عن الدفع ، وتكون الفضيحة . فما ذنبنا نحن معشر التجار !

وقال سكوبى وهو يشعر بالمر مفاجيء فى معدته :

— ان ما تقوله لا يخلو من المنطق .. آه .. ناولنى هذه الزجاجة ، فانى فى حاجة الى مزيد من الشراب .

— انصحك يا ميجور سكوبى بتناول المزيد من اقراص الكينين ، فان هذه المنطقة موبوءة بالمalaria .

— اننى لن أمكث هنا طويلا ، فلدى اعمال كثيرة يجب ان افرغ منها . ولكننى اشعر بالام فى معدتى وعنقى .

— دعنى اسوى لك الوسادة بعض الشيء .

— انك لست شريرا كبيرا يا يوسف !

فقال يوسف وهو يسوى الوسادة لسكوبى :

— لقد بحث رجالك عن كمبيالات الدين ولم يعثروا عليها .

والواقع انها كلها معى هنا .. فى جيبى .. فقد اخذتها من خزانة المتجر امس .

— وماذا تنوى ان تفعل بها يا يوسف ؟

فتناول يوسف الكمبيالات من جيبه ، ثم اشعل النار فيها بقداحته وقال :

— كما ترى .. لقد دفع المسكين ثمنها غالبا ، ولاداعى لازعاج والده بامور تافهة كهذه .. وحسبه ما هو فيه الآن .

— وماذا دعاك للحضور الى هذه البلدة ؟
— جئت لاسوى الأمور بعد ان شعرت وكيلى ان المسكين
بعبرتون قد تجاوز حدوده في .. في الاقتراض من التجار .
فتأمله سكوبى برهة وقال :

— يبدو ان شرك عميقة القرار لا يستطيع الظمان ان يصل الى
مائها يا يوسف !

— ان اعدائى لا يصلون ، ولكن اصدقائى يصلون بسهولة .
وانا اتمنى ان اكون صديقاً لك يا ميجور سكوبى .
— ولماذا تلتمس صداقتى يا يوسف ؟

— لانك من الذين يفهمون الصداقة على حقيقتها .. يفهمون
انها ليست شيئاً مقابل شيء آخر .. اتذكر يوم وضعتنى في السجن
منذ عشرة اعوام ؟
— نعم .

— كدت يومذاك ان تضبطنى متلبساً بجريمة تهريب الماس .
وكان في مقدورك ان تثبت التهمة على لو انك طلبت من رجالك ان
يشهدوا ضدى زوراً ، كما هى العادة في مثل هذه الظروف ، ولكنك
لم تفعل هذا . لانك اردت ان تثبت التهمة بالادلة القوية .. الادلة
المادية . ولهذا ابيت ان تعتمد على مجرد الأقوال والشائعات ،
فظفرت بالبراءة .. ومنذ ذلك الحين وانا ارى انك رجل مثالى
لا تحب ان ترى احداً يعاني من الظلم .
وقال سكوبى في اعياء :

— اتمنى لو انك تكف عن الثرثرة يا يوسف ، واحب ان اخبرك
اننى غير مهتم بصداقتك .

— ان كلماتك يا ميجور سكوبى اقسى من قلبك الرقيق . اريد
ان اشرح لك لماذا اراغب في صداقتك . انك اول انسان مسؤل
يجعلنى اشعر بالامن في حياتى . انك لن تلجأ الى الخداع لتوقع
بى . انك تريد الحقيقة .. وانا واثق ان الحقيقة ستكون في جانبي
وقال سكوبى مغيراً مجرى الحديث :

— لسوق أعرق يوما مدى ملاقاتك بالسكين بعبرتون . قال
هذه البلدة تسيطر على الطرق المؤدية من داخلية المنطقة الى الميناء
فقاطعه يوسف قائلا :

— انها تسيطر فقط على طرق مهربي الماشية ، وانا لا اهتم
بهذا النوع من المهربات .

— ولكن يمكن تهريب اشياء اخرى منها ! اليس كذلك ؟
فابتسم يوسف وقال :

— انك لا تزال تحلم بالماس المهرب يا ميجون سكوبي . يستور
أن الناس جميعا قد جنوا بأمر هذا الماس منذ نشبت الحرب .
— لا تبالغ في الثقة بنفسك يا يوسف ، فلعللى امثر على مايدينك
حين انتهى من فحص أوراق مكتب بعبرتون .

— انك لن تجد شيئا يخصنى ، لانك تعرف اننى احتفظ بكل
أوراقى فى ذهنى !!

واحس سكوبي بثقل فى راسه ، ويبدو انه اغفى قليلا اثناء
حديث يوسف معه ، وفى غفوته القصيرة رأى لويز مقبلة نحوه
باسطة ذراعيها وهى تقول « اننى سعيدة .. سعيدة جدا »
وفتح عينيه ليجد يوسف مستمرا فى الحديث قائلا :

— ان اصدقاءك الأوربيين هم فقط الذين لا يثقون فيك ، أما
أنا ، فان ثقتى فيك كبيرة .. بل ان طالوت يثق فيك ايضا .
وبذل سكوبي بعض الجهد ليفيق تماما ثم قال :
— ماذا تعنى يا يوسف ؟
— أولا مسألة منصب الحكمدارية .

— انه منصب يحتاج الى شخص أصغر سنا وافر نشاطا .
ثم قال لنفسه « يبدو اننى أصبت بمبادئ الحمى ، والا لا
ناقشت يوسف فى امر كهذا »
وعاد يوسف يقول :

— وهناك ايضا مسألة المندوب الخاص الذى أوفد من لندن .
— يحسن أن نستكمل حديثنا فى وقت آخر يا يوسف ، لاننى
لا اكاد أفهم شيئا مما تقول .

– لقد أوفدت لندن مندوبا سريا خاصا للتحري عن عمليات تهريب الماس فى هذه المنطقة .. ولا يعرف بأمر هذا المندوب الا الحكمدار .. اما باقى الضباط ، فلا ، حتى انت ..

– انك تهذى يا يوسف ، فليس هناك مثل هذا الرجل .

– لقد استطاع كل شخص ان يخمن الحقيقة الا انت .. انه ويلسون .

– لا يجب ان تصنى الى الشائعات يا يوسف !

– وهناك مسألة ثالثة . ان طالوت يشيع فى كل مكان انك

تزورنى فى بيتى .

– طالوت ؟ ومن ذا يصدق ما يقوله طالوت ؟

– ان الناس عادة يصدقون اقوال السوء عن غيرهم .

وقال سكوبى باعياء :

– انصرف الآن يا يوسف . لماذا تريد ان تزعجنى بهذه الثرثرة ؟

فقال يوسف بنبرة اخلاص :

– اريد فقط ان تتأكد يا ميجور سكوبى ان فى مقدورك الاعتماد

على . اننى أحمل لك اوفى انواع الصداقة فى اعماق نفسى . وانا

أعرف الأزمة التى تمر بها الآن ، وليس أحب الى من ان أمد يد

المساعدة .

فأدار سكوبى وجهه وقال :

– اننى لا أسمى وراء الرشوة يا يوسف .

– اننى لا أقدم لك رشوة يا ميجور سكوبى ؟ وانما قرض طويل

الاجل ، وبفائدة بسيطة .. لتكن أربعة فى المائة مثلا . ولن تكون

هناك شروط أخرى . وبممكنك ان تقبض على فى اليوم التالى اذا

بوافرت لديك الأدلة على ادانتى . اننى أريد ان أصرب لك عن

صداقتى يا ميجور سكوبى . ما رأيك .

– رأى ان تدعنى وشأنى وتنصرف .

فهر يوسف كتفيه وقال :

– اننى أكره ان أرى انسانا مثاليا يعامل على هذا النحو

السبى .

— لست بحاجة الى عطفك يا يوسف . أرجوك أن تنصرف ؟
لانى اريد ان انام .

ولما نام ، هاجمته الاحلام المزعجة ، اذ رأى نفسه جالسا الى مكتبه فى غرفة الجلوس بمنزله ، يكتب آخر رسالة له قبل ان يودع الحياة ، ويسمع بكاء لويز فى الغرفة العليا ، ثم يتلفت حوله باحثا عن سلاح ينتحر به . . ولكنه يراجع نفسه ويدرك ان الانتحار هو الشيء الوحيد الذى لا يجرؤ على ارتكابه . انه لا يستطيع ان يرتكب خطيئة لا تفتقر . انه لا يجد فى الحياة شيئا يستحق ان ينتحر . الانسان بسببه ، ومن ثم يمزق الرسالة ، ويسرع صاعدا الى لويز وهو يهتف « لويز . . لويز . . لقد حصلت لك على تكاليف السفر الى جنوب افريقيا » ولكن السكون يخيم على كل شيء ، ويشعر بالقلق ، ويفتح باب الغرفة برفق ، ويدخل ليفاجأ بانها خالية تماما . .

ويستيقظ من نومه ، ويتلفت حوله ويشعر فى الغرفة الحجرية الصغيرة التى كان ينام فيها ، كأنه ينام فى قبر .

«الفصل الرابع»

«الأمل . . . والتمن !»

واستمرت غيبة الميجور سكوبى فى مامبا اسبوعا ، امضى منه ثلاثة ايام فى حالة حمى ، وقد ظل تابعه على ساهرا عليه حتى افاق منها ، واصبح قادرا على رحلة العودة .

وفى خلال هذه الفترة ، لم ير يوسف مرة اخرى .

وكان الوقت قد تجاوز منتصف الليل عندما وصل الى المدينة . وكانت البيوت تبدو فى ضوء القمر كأنها اكوام من عظام بيضاء ، والشوارع الساكنة تمتد على الجانبين كأنها اذرع هيكل عظمى . والزهور ترسل عطرها ، فى الجو كأنها اكليل ناضر على قبر ميتة حديث العهد . وشعر سكوبى انه لو كان عائدا الى بيت خال ، اذن لامكنه ان يحس بالرضا والقبطة ، لانه كان يشعر بالتعب والارهاق

والرغبة في النوم بلا سماع المزيد من شكوى لويز . وتمنى لو أنه عاد فرأها مستغرقة في النوم .

وعاد الى البيت . . وطوفته لويز بلراعيها ، وراى المسائدة معدة للعشاء . وابتسم مرغما ، وتحدث عن مهمته في مامبا ، ولم يشر الى لقائه بيوسف اثناء الحديث ، ولكنه كان يعلم انه سوف يسألها - ان عاجلا او آجلا - عن أحوالها في فترة غيبته . وحاول أن ياكل . ولكنه من فرط الشعور بالتعب لم يجد للطعام في فمه مذاقا .

وقال مترددا :

- لقد فرغت من مهمتي ؟ وقدمت أمس تقريرى . . هل هذه هى كل أخبارى .

ثم تردد مرة أخرى وقال :

- وانت . . كيف كانت الاحوال معك ؟

ونظر الى وجهها بسرعة وهو يامل - كل الأمل - أن يرى عليه ابتسامة رضى . وتنهذ في ارتياح عندما قالت :

- لا بأس .

وأخذت تتحدث عن موضوعات أخرى . ولكنه أدرك من امارات وجهها ان شيئا ما قد حدث . وانتظر بقلب راجف ان تخبره عن هذا الشيء . وقالت :

- كان ولسون رقيقا معى الى اقصى حد .

- انه شاب لطيف . .

- وهو ذكى جدا . . ويبدو لى اشد ذكاء من ان يعمل كاتب محاسبات في شركة تجارية .

- قال لى انه يسير مع تيار الحياة .

- اعتقد اننى لم اتحدث مع أى شخص آخر ، الا مع الخادم الصغير ، منذ أن رحلت . ورغم ما سمعته عن وصول جماعة من اللاجئين الذين نجوا من باخرة غارقة الى المستشفى العسكري ، فاني لم اجد في نفسى الرغبة لزيارتهم . . آه ، وكذلك تحدثت مع المسز هاليفاكس التى اخبرتنى عن وصول هؤلاء الناجين . .

وادرِك سكوبى أن الخطر الذى كان يخشاه يوشك أن يقع ..
وقال لنفسه ضارعا الى الله : « آه ياربى .. اتنى مرهق .. وقد
أفركتنى الحمى ضعيفا كالحمل الوليد .. ولا بد لى من الذهاب الى
أفراشى ، فقد تجاوزت الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف
الليل »

وقالت لويز :

- تيكى .. هل فعلت شيئا من أجل سفرى الى جنوب
أفريقيا ؟

- لا عليك يا عزيزتى .. لسوف أجد وسيلة ما .

- ألم تجد وسيلة بعد ؟

- لا .. ولكننى سوف أحقق لك هذا الأمل باى ثمن ..

أطمئنى .

ومدت يدها وربت على وجنتيه وقالت بعطف :

- يا عزيزى تيكى .. أنك متعب .. ولن أزيد فى ازعاجك الآن ،

أذهب الى فراشك واسترح .

- وأنت ؟

- سألحق بك بعد قليل .

ورقد سكوبى فى فراشه ينتظر لويز ويفكر .. وكلما أمعن
التفكير وجد أن الشخص الوحيد الذى يمكن أن يقرضه نفقات
السفر ، هو التاجر اللبناني يوسف . ولكن .. أى ثمن فادح سوف
يدفعه من سمعته ومن مستقبله لو علم أحد أنه - وهو وكيل
الحكمدار - يقترض مالا من تاجر تقول الشائعات أنه من أكبر مهربى
الماس ؟

لا .. لا .. لا بد له أن يصارحها بالحقيقة .. لا بد له أن
يواجهها قائلا أنه لن يستطيع الحصول على المال اللازم لسفرها
وأن عليها أن تنتظر ستة شهور أخرى حتى يحين موعد أجازته
فيصحبها الى لندن على نفقة الحكومة .

وشعر بالسكون العميق يخيم على البيت ... ترى أين لويز
الآن .. لماذا لم تصعد اليه .. وتذكر الحلم المزعج الذى رآه فى
لومه وهو فى ماميا .! واستبد به خوف رهيب ، فوثب من الفراش

وهبط : بحق القديمين ؟ الى قرقة الجلوس ؟ وهناك رأى لويج
يجالس الى منضدة الكتابة ، وامامها الورق ؟ وقبى يدها القلم .
ولما أحست به قالت :

— ماذا بك يا عزيزي ؟ لماذا تركت فراشك !

— لقد أزعجني السكون العميق المخيم على البيت ، وخشيت
أن يكون شيء ما قد حدث . لقد رأيت حلما مزعجا عنك في الاسبوع
الماضي .. ويبدو ان انتحاربمبرتون قد اشاع الاضطراب في اعصابي
— اوه ، ما اشد بلاهتك يا تيكى .. ان شينا كهذا لا يمكن أن
يحدث لنا .. اننا كاثوليكيان ..

— نعم .. نعم .. ولكنني اردت فقط ان اطمئن عليك .
ثم وضع يده على شعرها الذهبي ، واختلس النظر الى الورقة
الموضوعة امامها ، وقرا فيها العبارة الاولى من الخطاب « عزيزتي
المسز هاليفاكس .. »

وقالت هي في صوت رقيق :

— اطمئن يا عزيزي .. لقد أزعجتك كثيرا برقبتي في السر .
ولن أفعل هذا بعد الآن . ان هذه الرغبة كالحمى .. تأتي وتذهب ..
وقد ذهبت الآن .

— ولكن .. معلقة المسز هاليفاكس بالموضوع ؟

— ان المسز هاليفاكس قد حجزت مقصورة لراكبين في الباخرة
التالية المسافرة الى جنوب افريقيا . وقد مرضت زميلتها في
المقصورة وأجلت السفر . ومن ثم عرضت المسز هاليفاكس أن
أحل محل زميلتها المريضة ..

— ولكن الباخرة التالية ستمر علينا بعد خمسة عشر يوما ..
— نعم .. على اني قررت الا أقبل هذا العرض ، لاني واثقة
بانك لن تستطيع الحصول على المال اللازم ..
واسرع يقاطعها قائلا :

— لا لا .. اكتبى وقولى لها انك مستذهبين معها .. اتنى
أعرف من اين أستطيع ان أقترض المال اللازم ..
— ولماذا لم تخبرنى بذلك ؟
— أردت ان أجعل الامر مفاجأة لك ..

ولم تبد على وجهها السعادة التي كان يتوقعها . وإنما قوجىء
بها تقول :

- وهكذا تستريح من ازعاجى لك .. اليس كذلك يا تيكى؟
- ان ما يهمنى هو اسعادك يا عزيزتى .. السمت سسعدة
الآن ؟!

فقالآ فى صوت ينم عن الحيرة:
- نعم .. نعم يا حبیبى .

وصلآ الباخرة المنتظرة فى مساء يوم السبت . واخذ الاثنان
يوقبانها من نافذة غرفة وقد امسك كل منهما بيد الآخر . وقال
سكوبى أخيراً :

- هذا يعنى انك ستسافرین علیها غدا بعد الظهر .
وضفطآ على یده قائلة .

- ويعنى ایضاً ان فى مقدورنا حضور القداس معا فى الصبأح .
وفى اليوم التالى ؛ ذهباً معا فى بكور الصبأح الى الكنيسة .
وفیما هما یركمان بجوار سبأج المذبأ ، قال سكوبى لنفسه مفكراً
« لقد دعوت الله أن یمنأنى سآينة النفس والسلام ، وها قد
تحقق دعائى .. ودعوته أن یمحق امل لویز ، فآحقق الأمل ..
ولكن .. بأى ثمن رهیب ! بأى ثمن رهیب ! »

وفیما هما عائدان الى البیت ، قال لویز فى نهفة :

- هل انت سعدة یا لویز ؟!

- أجل یاتیکى .. وأنت ؟!

- اننى سعادآ لك .

- هل ستكتب لى مرة كل اسبوع ؟

- بكل تأکید یا حبیبتى .

- وصلاة القداس كل صبأح اأد یا تیکى ؟ هل ستفعلها !!

- لا یا حبیبتى ..

والتقى بهما ویلسون فى الطریق .. وكان وجهه یصأ بالصأع بالصأع
وبالقلق . وقال وهو ینظر فى عناب مریر الى لویز :

« هل حقاً ما سمعت عن مسألة السقر هذه ؟ »

فقال سكوبي :

« نعم .. ان لويز ستستقل الباخرة بعد ظهر اليوم الى جنوب افريقيا . »

وقال هو موجهاً الحديث الى لويز :

« انك لم تخبريني بأنك ستسافرين بهذه السرعة ؟ »

« نسيت يا مستر ويلسون . »

« لم اكن اصدق انك ستسافرين حقاً لولا انى التقيت مصادفة بالسز هاليفاكس منذ قليل في مكتب حجز التذاكر . »
وابتسمت لويز قائلة :

« حسناً .. لا تنس اننى ساترك لك تيكى ليسهر معك بين الحين والآخر . »

وقال ويلسون وهو يضرب قدمه تراب الشارع بعنف :

« هذا عجيب ؟ اننى لا اعرف احدا هنا غيركما .. وغير هاريس . »

وقالت لويز :

« عليك ان تبدأ فى توطيد صداقتك بالغير .. وارجوك المادرة الآن ، ان علينا ان نفرغ من اعمال كثيرة قبل الرحيل . »

وسار الاثنان « سكوبي وزوجته » فى الطريق الى البيت «
فاركين ويلسون فى وسط الشارع ، ينظر اليهما فى عجب وضيق ،
وقال سكوبي لزوجته :

« مسكين ويلسون .. يبدو انه وقع فى غرامك . »

« هكذا يعتقد . »

« من حسن حظك انك سترحلين الآن . فان الشبان امشاله لا يتوعدون عن ارتكاب أى شئ فى مثل هذا الجو الحار اذا ظنوا انهم ضحايا حب فاشل . »
ولسوف اعامله برفق وعطف اثناء قبيبته . »

« تيكى .. ارجو ان تكون على حذر منه . انه رجل غامض ..
وكذاب ، والا لماذا قال انه لا يعرف احدا هنا غيرنا وغير هاريس .. »

« وهل هو يعرف احدا آخر ؟ »

— آه يعرف الحكمدان .. وقد رأيت أكثر من مرة بقسايد
مكتبه ..

— ربما يعرفه فقط بحكم عمله هنا ..

وبعد برهة من الصمت ، قالت لويز وهما يقتربان من البيت :
— تيكى .. لقد طلبت منى المسز هاليفاكس أن أوصيك بفتاة
مسكينة من الناجين من الباخرة الفارقة ..
— فتاة ؟!

وأشارت لويز الى كوخ انيق منفرد بين الاكواخ في منطقة
الاستراحات الحكومية التى كانت تقع على مسافة ميلين من بيت
سكوبى ، وقالت :

— انها تقيم الآن فى هذا الكوخ ريثما تستجم وتسترد قواها
وتعود الى انجلترا .. ويقال انها عانت أشد المحنة بعد غرق الباخرة
لقد فقدت زوجها وهما لا يزالان فى شهر العسل ، وعاشت على
الماء والخبز نحو عشرين يوما قبل أن تتمكن احدى البواخر من
انقاذها مع زملائها فى زورق الانقاذ ..
وقال سكوبى بغير اهتمام :

— وماذا تريد المسز هاليفاكس أن اصنع لها !

انك معروف بطيبة القلب واستقامة الاخلاق ، وهى ترجو أن
تضع الفتاة المسكينة تحت رعايتك حتى لا يزعجها بعض الشبان
المراهقين من امثال بريجستوك .. مسكينة هذه الفتاة اذ تترمل
وهى فى السابعة عشرة من عمرها ! ..
وقال سكوبى وهو يهز كتفيه :

— سأحاول أن اجعل اقامتها المؤقتة هنا مريحة بقدر الامكان ..
والآن ، لا بد لك يا عزيزتى من أن تتناولى طعام الفداء هنا .. فانا
أخشى أن يكون الطعام فى الباخرة غير ملائم لك بسبب ظروف
الحرب ..

وبدأت الباخرة ترسل صفيها ايدانا بقرب ابحارها .. وبعد
أن اطمان سكوبى على راحة زوجته لويز فى المقصورة المشتركة
بينها وبين المسز هاليفاكس قال لها وهو يحس أنه يعيش فى حلم
غامض !

- هل أقول لك الى اللقاء الآن يا عزيزتى ؟
 وصارت معه الى رأس سلم الباخرة وقالت :
 - الى اللقاء ياتيكى .. هل ستكتب لى مرة كل
 - نعم يا حبيبتى .
 - لقد ازعجتك كثيرا يا تيكى .. ولكن الوضع كان سيختلف
 جيدا لو انهم اسندوا منصب الحكمدار اليك .
 - لا عليك يا حبيبتى .. لسوف الحق بك فى اجازتى ، واذا
 احتجت مالا ، ارسلنى الى وانا سادبر الامر .
 - انك دائما تدبر لى الامور يا تيكى .. هل تحبى ؟
 - وهل ترتابين فى هذا ؟
 - قلها لى ياتيكى ، ان الزوجة تحب ان تسمع هذه الكلمة من
 زوجها حتى وهى تعلم انه غير صادق ..
 - اننى احبك يا لويز .. وانا صادق بطبيعة الحال .
 - اذا لم احتمل البقاء هناك بمفردى يا تيكى ، فسوف اعود
 اليك بسرعة .
 وتبادلا القبلات ، وكان الميناء يبدو من الباخرة جميلا ، اذ كانت
 صفوف المنازل البيضاء تتالق فى ضوء الشمس كالرخام ، او تبدو
 كالعشاق فى ظلال الاشجار الضخمة ترفرف عليهم بالافنان .
 وقال سكوبى :
 - ان هذه الباخرة مع غيرها فى القافلة تتمتع بحراسة قوية من
 المدمرات وزوارق الطوريد .
 - اظن ياتيكى .. المهم ان تعنى بنفسك اثناء غيبتى .
 ومسحت دموعا انحدرت على وجنتيها ، وقال سكوبى وهو
 يربت على يدها :
 - الى اللقاء يا حبيبتى ..

لأول مرة منذ سنوات طويلة كان سكوبى يشعر بالسكينة
 والسلام وهو جالس فى شرفة فندق بدفورد ، بعد غروب الشمس ،
 وتحسو كاسه متمهلا ويفكر فى الراحة الكاملة التى سينعم بها حين

يعود الى البيت . . البيت الخالى من لوبن ؟ لينام دون أن يشعشع
بعبء مسئولياته نحوها .

وفيما هو جالس على هذا النحو ، اذا بويلسون يقبل اليه ،
ويقول بلهجة غامضة :

- هل تسمح لى بالجلوس معك برهة يا ميجور سكوبى ؟
قلما أوما له سكوبى برأسه ، جلس ويلسون وقال بلا مقدمات ؟
- لقد ثبت لى وأنا أجرد أحد فروع متاجر الشركة ، أن وكيل
الفرع قد حصل على كميات هائلة من الاطعمة المحفوظة عن طريق
آخر غير طريق الشركة .

- عن أى طريق اذن !!

- انها كلها من الاطعمة المحفوظة الواردة الى مخازن القوات
العسكرية .

- أن الأمر بسيط . . وما عليك الا أن تفصله وتقدمه للمحاكمة

- أن من الخطأ أن نحاكم لصا صغيرا اذا كان فى مقدورنا أن
نصل عن طريقه الى اللص الكبير . ولكن هذه مهمتك طبعاً .
وتوقف ويلسون عن الحديث برهة ، ثم تناول منديلا وراح
يمسح جبات العرق المتفصدة على جبينه واردف قائلا

- أترى ؟ حصل على هذه السلع من التاجر يوسف ؟

- من التاجر يوسف نفسه ؟

- من أحد وكلائه . .

- هذا هو الأرجح ، لأن يوسف اذكى من أن يرتكب هكذا
الخطأ . لانه فى هذه الحالة يستطيع أن يلقي بعبء الاتهام على
وكيله . ومن المحتمل جدا أن يكون يوسف بريئا . هذا مجرد
احتمال ، ولكن لابد من إقامة الدليل المادى على ادانة يوسف .
وقال ويلسون بلهجة لها دلالتها :

- واذا وجد هذا الدليل المادى ، فهل تقبض عليه ؟

ورمقه سكوبى بنظرة حادة وقال :

- ماذا تعنى ؟

وتفصد العرق من جبين ويلسون مرة أخرى ، ولكنّه قال
بحماس أدهى سكوبى :

— أن الشائعات تقول أن يوسف يحتذى بك ضد القانون .
— لقد عشت هنا مدة تكفى لتجعلك تعرف قيمة الشائعات !
— أنها منتشرة في كل مكان .
— نشرها طالوت ، أو ربما يوسف نفسه .

— أرجوك يا ميجور سكوبى ألا تسيء فهم مقاصدى . لعلنا
أكنت لطيفا معى ، وكذلك المسز سكوبى . ومن ثم رأيت أن أخبرك
بما سمعت .

— اننى اعرف كل ما يقال هنا . . لا تنس اننى اقيم فى هذه
المستعمرة منذ خمسة عشر عاما .

— وهل حقا تتبادل الزيارات مع يوسف كما يقولون ؟
— نعم . . كما أتبادل الزيارة مع الحكمدار نفسه . ولكن هذا
لا يضمننى من القبض على يوسف اذا لزم الأمر . وبهذه المناسبة ،
هل أفهم من حديثك أنك تستجوبنى يا ويلسون ؟
— لا لا . . أردت فقط أن أخبرك بما اسمع .

— أنك اصفر سنا من المهمة التى تقوم بها يا ويلسون .
— أية مهمة تعنى ؟!

— أنت تعرف ما أعنى .

ومرة أخرى فاجأ ويلسون سكوبى بقوله فى حدة وحماس !

— اوه . . أنك شخص لا تحتل يا ميجور سكوبى . أن تمسكك
بمبادئ الشرف والاستقامة تجعلك شاذا عن بقية الناس . . تجعلك
غير صالح للحياة بينهم .

واشتد احمرار وجه ويلسون من فرط الشعور بالفضب :
والخجل ، والعجز عن ايلام سكوبى الذى قال بهدوء :
— انصحك بعدم التعرض للشمس نهارا ، لأن حرارة الجو
هنا قد بدأت تفسد أعصابك .

ونفض سكوبى لينصرف ، ولكن ويلسون نهض واعترض طريقه
وهو يقول بانفعال أشد :

— لقد أبعدت لوزير عنى لأنك خائف عليها منى . . اليس كذلك ؟
وارسل سكوبى ضحكة قصيرة وقال :

— انها حرارة الجو يا ولدى .. قدما مستحسن حالتك وتسمى
اكل شيء .

— انها لم تعد تحتل غباءك وتزمتك .. انك آخر انسان يفهم
بحقيقة مشاعر سيدة مثقفة رقيقة شاعرية الخيال مثل لويوز .

— وهل يوجد من يعرف حقيقة مشاعر اى انسان آخر ؟

— اثناء غيبتك فى مامبا قبلتها .. قبلتها اكثر من مرة .

— لا عليك يا ويلسون .. ان كل زوجة اوربية هنا لا تجلس
بأسا فى ان يقبلها كل واند جديد على المستعمرة .. والأزواج
ينظرون الى هذا من زاوية الروح الرياضية .

— وكان سكوبى مخلصا فى حديثه ، اى لم يكن متعمدا أن يزيد من
سورة غضب ويلسون وغيره . ولكن هذا قال بنفس الانفعال
الشديد :

— انك غير جدير بها .

— لا انا .. ولا انت يا ويلسون .

— من أين جئت بالمال اللازم لسفرها .. اريد ان اعرف هذا .
انك بمرتبك المحدود ، لا تستطيع ان تدخر مثل هذا المبلغ . اننى
اعرف مرتبك .. لقد قرأته فى سجل مرتبات رجال الشرطة . انك
موضع رقابتي .

ونظر سكوبى اليه بدهشة ، ثم ابتسم وقال :

— يبدو انك مخبول حقا يا ويلسون .

— وهنا تهالك ويلسون على مقعده ، واخفى وجهه بين يديه .
وراح يهتز بنوبة بكاء مفاجئة .

ووضع سكوبى يده على كتفه وقال فى عطف :

— انها حرارة الجو يا ولدى .. اصعد الى غرفتك واسترح

.. ويمكننا غدا ان نستأنف الحديث .. طابت ليلتك .

وراح ويلسون يختلس النظر من وراء اصابعه الى الرجل الذى
شاهد دمعه ، وهو يزدد احساسا بكرهه .

« الفصل الخامس »

« لقاء مع الحبيب »

انطلقت صفارات الانذار تعلن عن احتمال وقوع اغارة جوية على المستعمرة ، ومن ثم اسرع مكوبي ، رغم المطر الذى بدأ ينهمر بغزارة ، الى جولة تفتيشية ليطمئن على حالة اطفاء الانوار فى المدينة كلها . وراح يخوض الشوارع الموحلة ، محتشياً من المطر بمظلته ، لان حرارة الجو - رغم المطر - جعلته لا يفكر فى ارتداء معطفه الجلدى . وظل فى سيره وهو يرى من بعيد المصابيح الزرقاء لكسيارات النقل وهى تسير فى طابور طويل على سفح التل . ولم تضوء ايلمع فى نافذة احد المنازل ، فصاح آمراً باطفائه ، ولم يلبث الضوء ان اختفى . . لاشك انها مجرد مصادفة ، لانه لا يعقل ان يعتمد احد ان يدع ضوء بيته ينفلد الى الخارج ويفسر بعض ظائرات الاغارة على القاء قنابلها فوق المدينة .

ولما وصل الى ما وراء مركز النقل البرى ، لمح مرة اخرى ضوءاً خافتاً يومض برهة فى نافذة كوخ بأحد مباني الاستراحة الحكومية التى تبعد عن بيته نحو ميلين . وتذكر الفتاة اللابئة التى قالت زوجته انها فى حاجة الى من يرعاها . . وتذكر ان المسك هاليفاكس قد قالت ان اسمها المسك زولت . . ومن ثم رأى ان يمتضى اليها ويطمئن عليها ويهدئ من مخاوفها فى ليلة مظرة مظلمة كهذه .

ومار فى الطريق الساكن الا من صوت المطر على اسقف المنازل وعلى مظلته ، وعلى الشارع حوله ، ولم يكن يدري فى تلك اللحظات انه كان مع كل خطوة يتقدم نحو مرحلة جديدة فى حياته شاء القدر ان تكون المرحلة الحاسمة .

وطرق على باب الكوخ بقوة حتى يمكن للفتاة ان تسمع الطرق وتقيم صوت الامطار المنهمرة على سقفه المعدنى . وبعد ان كدد الطريق ، فتح الباب فجأة ، ولم يسهه الا ان يغمض عينيه امام

الضوء المفاجيء الصادر من الغرفة الواحدة الكبيرة التى يتكون منها الكوخ مع المرافق .

وقال للفتاة الواقفة وراء الباب بعد ان دخل :

- اتنى آسف لازعاجك فى مثل هذه الساعة . ولكن وميضامن

الضوء ينساب من طرف الستائر المسدلة على النافذة . .

وسمع صوتا نسائيا رقيقا يقول :

- اتنى آسفة لهذا الاهمال . .

وكانت عيناه قد اعتادتتا على الضوء المفاجيء، فرأى امامه قّادة

فى ميعة الصبا شاحبة الوجه ، حزينة النظرات ، ناحلة الجسم،

يحيط شعرها الاسود الفزير حول وجه مستدير اسود العينين %

دقيق السمات ، ترسم عليهم امارات الحيرة والخوف والترقب . .

وقال لها وهو يحاول ان يبتسم ليهدىء من روعها : .

- المسز رولت !!

- نعم . . من انت ؟ اتنى لا اعرفك .

- اتنى سكوبى . . هنرى سكوبى . . وكيل الحمدار .

واشرق الوجه الشاحب الخائف بابتسامة باهنة وفالت :

- اوه . . معذرة . . لقد حدثتنى المسز هاليفاكسر عنك . .

بل لقد سمعت الكثير عن طيبة قلبك يا مستر سكوبى . . اعنى

يا ميجور سكوبى . . تفضل بالجلوس .

- هل تسمحين لى اولا باحكام الستائر !

وقبل ان تأذن له ، مضى الى النافذة الوحيدة، واحكم ستائرها،

وكان فى خلال هذا قد شاهد كل شىء فى الغرفة ، ولم يكن كثيرا

. . . فيها سرير عادى ، ومنضدة ، وبضعة مقاعد . . ومشجيب

. . ومنضدة زينة بمرآة كبيرة ، وخزانة ثياب . . وكان يعرف ان

هذه المساكن مخصصة لسكنى صفار الضباط الذين لا يزيد مرتبهم

أحدهم عن خمسمائة جنيه فى العام .

وقال لها فى شبه اعتذار :

- أخشى ان تكون اقامتك هنا غير مريحة !

فابتسمت وقالت :

- اتنى احسن كانى فى الجنة بعد العشرين يوما التى امضيتها

بين السماء والماء في زورق النجاة .. ان الجميع هنا ظيئون رحمة ..
وقد اعطتني المسز هاليفاكس هذه المنامة التي ترانى بها الآن ..
وكان طبيعيا الا يرى سكوبى شيئا من الكتب أو الصور أو
الملابس أو الحقائق .. لان الفتاة انقلدت من الزورق وهى فى ثوب
ممزق .. ولكن عينيه وقعتا على اضمامة « اليوم » لطوايح البريدة
فوق احد المقاعد . ويبدو ان المسز رولت رات نظراته على
الاضمامة ، فقالت :

- انها الشئ الوحيد الذى نجا معى من الباخرة ...
وفجأة غامت عينها وقالت بصوت ينم عن الخوف :
- هل نحن هنا معرضون لخطر الاغارات الجوية ؟
- لا لا .. اطمئنى .. اننا لم نتعرض لاغارة حقيقية حتى
اليوم . ثم تأملها مرة أخرى وقال :

- ما كان ينبغي ان يخرجوك من المستشفى بهذه السرعة .
- لقد طلبت أنا الخروج ، لاني اريد الانفراد بنفسى بعد ان كثر
الزائرون لى فى المستشفى ، وبعد ان ضقت بعبارات العطف والرثاء
الجوفاء .
وعندئذ قال سكوبى بلباقة :

- حسنا .. لسوف أنصرف انا أيضا .. واذا احتجت الى
شيء ، فان بيتى يقع فى الناحية الأخرى .. على بعد ميلين .. ولكن
يمكنك أن تربيه من هنا ، لانه لا يفوم بينه وبين هذه الاستراحات
شيء .. انه البيت الأبيض ذو الطابقين والنوافذ الخضراء .
وقالت له :

- ولكن .. الا تنتظر حتى تتوقف الامطار !
- لا اظن .. لانها لن تتوقف الا فى سبتمبر .. اى بعد بضعة
شهور .

واستطاع بهذا ان يظفر منها بابتسامة حقيقية ، وقالت :

- ان صوت المطر فظيع .
- لسوف تعتادين عليه بعد ايام قليلة ، كما يعتاد الانسان على
اصوات القطارات التى تمر امام مسكنه . واكبر ظنى انهم

هم وصلوك الى انجلترا في اقرب وقت . فان هناك بأخرة ستتمكن
بتا وتصل الى انجلترا بعد اسبوعين .
وقالت له :

— هل تحب ان تشرب كأسا . . لقد اعطتني المسز كارتوزجاجة
البن .
فقال وهو يراها تخرج الزجاجاة من خزانة الملابس :

— مناساعدك على شربها اذن . . هل اخصصوا لك خادما ؟
— نعم . . غلام في الثانية عشرة . ولكنني لا ادرى ماذا اطلب
منه ، كما انه لا يأتي الى الا قليلا .
ورمق الزجاجاة التي كانت ممثلة الى النصف فقط ، ثم قال :
— وهل شربت منها هذه الكمية !
— لا . . لم اذقها بعد . . يبدو ان الغلام كان يشرب منها في
القلة عني .

— سوف اتحدث معه غدا . . لديك ثلاثة ؟

— نعم في المطبخ ، ولكن ليس بها تلج .
وكانت عندئذ قد جلست على حافة الفراش ، وبدأت تقاطيع
جسدها الشاب واضحة تحت المنامة الحريرية . وقد اردفت
قائلة :

— ارجو الا تعتقد انني بلهاء . كل ما في الامر انني في حيرة
وارباك ، لان هذه اول مرة اترك فيها بلادى .
وقال وهو لا يزال واقفا :

— من اين جئت ؟
— من مقاطعة سافوك . . مدينة سانت ادموند . . كنت هناك
ثلاثة ثمانية اسابيع فقط .

— حسنا . . لسوف ينتهي كل شيء على خير . . هل تسمحين
لي بالانصراف الآن ؟

فانظرت اليه في سميت الطفل الخائف وقالت :
— الا تبقى حتى تنطلق صافرات الامان . . ان اعصابي
لا تزال مضطربة ، هذا اذا لم اكن اعطلك عن اعمالك .
فجلس قائلا :

— لا .. لا مطلقا .. هل تَكَرَّرَ قِيَمًا مستعملينه بعد ذلك ؟
هل ستعودين الى وطنك .

— لا ادرى .. ولعلى اُحصل على عمل هنا .

— الديك اية خبرة بعمل ما ؟

فقلت وهى تشيخ بوجهها :

— لا .. مطلقا .. لقد تركت المدرسة فى العام الماضى فقط .

— وهل تعلمت فيها شيئا يمكن ان يفيدك فى عمل ما ؟

وكان سكوبى قد أدرك ان الفتاة تحتاج الى من يتحدث اليها .
انها تشعر بالعزلة والانفراد ، ولكنها تخشى ان تختلط بأحد حتى
لا تكون موضع رثاء او شفقة ، أما اذا استطاع أحد ما ان يبادلها
الحديث بلا هذا النوع البغيض من الاشفاق والرثاء ، فانها لا شك
ترحب به .

وقالت هى فى الرد عليه :

— كنت بارعة فى لعبة كرة السلة .

— حسنا .. ولكن جسمك لا يقنع أحدا بأنك تصلحين لان
تكونى مدرسة ألعاب رياضية .. أوه .. اتى آسف .. لعل
جسمك كان رياضى القوام قبل .. قبل الحادث .

وفجأة أخذت تتحدث .. تتحدث عن أمها التى ماتت وهى
صغيرة ، وعن أبيها الذى يشتغل فى بلدة يبرى راعيا لكنيستها ..
وهى بلدة قريبة من مدينة سانت ادموند .. وعن المدرسة الداخلية
التي عاشت فيها بعد وفاة أمها ، وعن زياراتها لأبيها فى العطلات
المدرسية والمواسم الدينية ، وعن مدرساتها وناظرة المدرسة وعن
المباريات الرياضية التى أقيمت بين مدرستها والمدارس الأخرى فى
المنطقة . وعن النزهات الخلوية التى كانت تقوم بها مع التلميذات
والمدرسات فى كل يوم سبت أو أحد . وعن الفتيات اللاتي كن
يهربن من رقابة المدرسات ولا يعدن الا بعد منتصف الليل !

وكان هو ينصت مأخوذاً ويتأمل كاسه من الجن حينا ، وينظر الى
هينيتها المتألفتين بحماس الحديث حينا آخر ، وفجأة توقفت وقالت
— أوه .. معذرة .. ما هذا اللغو الذى اثرثر به !

- اننى مستمتع به .

- ولكنك لم تسألنى عن .. عن .. انك تعرف .

وكان يعرف حقا .. لانه قرا التقارير التى كتبها مهندس السفينة الفارقة ، وكان احد الناجين فى زورق الانقاذ .. وقصا ورد فى هذه التقارير كيف اصاب غواصة المانية السفينة بطوربيد ، وكيف أعلن قائد الغواصة انه لا يستطيع انقاذ احد لانه محاصر بالمدمرات البريطانية ، وكيف عاش الناجون نحو عشرين يوما فى زورق ليس فيه غير كمية محدودة من الماء وأخرى من الخبز والجبن ، وكيف مات بعض الناجين ، وكيف جن أحدهم .. وكيف أخذ الزورق يرتفع وينخفض على الأمواج فى محيط لا يرحم ، والأمل فى النجاة يتلاشى يوما بعد يوم ، وكان هو يفكر فى هذا كله يسمعها تقول « ولما انتهى العام المدرسى ، بكيت وأنا عائدة الى بيت أبى فى سيارة مأجورة .. وكان ذلك فى آخر شهر يوليو » فى آخر شهر يوليو .! أى منذ تسعة أشهر .. تسعة أشهر تزوجت فيها الفتاة ، وفقدت فيها الزوج وهما فى شهر العسل ، وعانت فيها تجربة رهيبة مات خلالها رجال ، وجن بسببها رجال ! وانطلقت صفارة الأمان فى تلك اللحظة ، ولكن كلا منهما لم يحفل بها ، وانما عادت الفتاة تقول :

- ما أكثر ثرثرتى؟! هل تعتقد اننى سأستطيع النوم الليلة فى أمان .

- هل تعانين من الأرق؟!

- نعم .. لأننى حين استغرق فى النوم ، تهاجمنى الأحلام المزعجة . وفى كثير من الأحيان استيقظ وأنا ارتعد خوفا ، لأنى أحسب نفسى لازلت فى الزورق الرهيب المتأرجح فوق الأمواج بلا أمل فى النجاة .

- لسوف تتخلصين من هذه الأحلام تدريجيا .. وأؤكد لك

أنك ستنامين هنا فى أمان تام ، لانه ليس هناك ما يدعو الى خوفك . ولا تنسى ان ثمة حارس ليلى يطوف بهذه المنطقة .. وسوف أوصيه بك .

وقالت وهى ترفع وجهها اليه :

- انك انسان طيب القلب جدا .. وكذلك المسز هاليفاكس؟
والمسز كارتر .. ولكنك اطيب قلبا من اى انسان عرفته .. اننى
.. اننى اميل اليك جدا .

- وانا اميل اليك جدا ..

وكان الاثنان يشعران فى تلك المقابلة الاولى انهما فى امان كامل
من الوقوع فى الحب . اذ كيف يخطر ببال رجل مستقيم مثل
سكوبى ان يحب ، وهو يقترب من الخمسين ، فتاة لا تتجاوز
السابعة عشرة؟! ولا شك ان هذا ما كان يدور بنفسها ايضا . ان من
الممكن ان يصبحا صديقين حميمين ، ولا شئ آخر . ان بينهما
فوارق عديدة .. فارق السن .. وفارق الزوج الفارق .. وفارق
الزوجة الغائبة التى سوف تعود ان عاجلا او آجلا .. ولهذا كله
لم يكن هناك ما يدعو احدهما لان يخشى ما يقوله للآخر من كلمات
الحب .

وقال لها وهو ينهض:

- الا تريدن شيئا قبل ان انصرف؟

ونظرت اليه بوداعة وقالت:

- الا يمكن ان تمكث فترة اخرى؟

- سوف ازورك غدا واحضر معى بعض طوايع البريد لاضامتك

ونظرت هى الى اضمامة طوايع البريد ، ثم ابتسمت قائلة:

- الم اقل لك انك اطيب انسان عرفته!

- طابت ليلتك ..

- طابت ليلتك .. سأنتظرك غدا .

وغادر الكوخ وهو يشعر بسعادة لا توصف .. ومن قرط
استغراقه فى هذا الشعور ، كان يسير فى المطر وهو لا يدري انه نسي
مظلته فى كوخ الفتاة !!

« الفصل السادس »

« الحب يسخر من الفوارق »

ظل سكوبى مشغولا فى مكتبه من التاسعة صباحا حتى
الحادية عشرة والنصف ظهرا . ثم استأنف العمل بعد ساعتين

حتى التاسعة مساءً وفيما هو يعود بسيارته الى البيت ليكتب
رسالته الاولى الى زوجته لويز ، التقى بالمستر هاريس امام فندق
يدفورد ، فتوقف بسيارته ، وحياه ، وكان هاريس يلوح له بيديه
لكطفل سعيد بدمية جديدة .

وقال سكوبى :

— ماذا حدث .. هل ربحت الدربى ؟

— لا .. ولكننى حصلت على مسكن فى الاستراحات الحكومية
.. وسوف يكون ويلسون شريكاً لى فيه ..

وحاول سكوبى ان يخفى الامتعاض الذى شعر به ، وقال :

— أرجو ان يكون منزلاً مباركاً .. وبين ويلسون ! !

— لقد سافر الى لاجوس ليغيب اسبوعين .. انه يذكرنى
بالزهرة القرمزية فى الرواية المعروفة .. مارايك فيه يا ميجور
سكوبى .

— شاب لطيف .. قليل الخبرة بالحياة .. ولكنك ستستريح
اقى الإقامة معه على كل حال .. هل تحب ان اصحبك الى مسكنك
الجديد ؟ !

— لا .. ليس الآن .. اننى ابحث عن مركبة تحمل كل امتعتى
الى هناك .

وتركه سكوبى ، ومضى الى البيت : وبعد ان تناول عشاءه ،
جلس وكتب رسالته الاولى الى زوجته ، وحرص على ان يشتمها
اشواقه وحبه بأسلوب رقيق مهذب لانه كان يعلم ان الرقابة تفتح
جميع الرسائل وتقرأها بامعان .

ولم ينس ان يحدثها عن زيارته للمستر رولت او هيلين ، كما
هرف ان هذا هو اسمها قبل الزواج ، وان يحدثها عن ويلسون وعن
حزنه الشديد على سفرها ، وعن انتظاره لعودتها فى لهفة وشوق
.. واختتم خطابه متمنيا لها السعادة ، لانه يستمد سعادته من
سعادتها هى .

وبعد ان فرغ من الرسالة ، غادر البيت فى طريقه الى نوح
هيلين .

- لقد أحضرت لك بعض طوابع البريد .. كان لدى مجموعة منها ، كما حصلت على عدد آخر من المسز كارتو
وكانا جالسين فى الكوخ ، يشعران بالراحة والأمن . وصال
لها متسائلا :

- لماذا تهوين جمع طوابع البريد ؟

فردت هيلين رولت قائلة :

- لا أدري .. لعلها عادة نشأت معى منذ أن أهدانى أبى هذه
الاصمامة فى عيد ميلادى الخامس عشر . ومنذ ذلك الحين وأنا
أحملها معى وأضيف إليها ما يقع فى يدى من طوابع جديدة أو
قديمة .

وبعد برهة من الحديث عن الطوابع ، قال لها :

- انك لم تحدثينى بالتفصيل عن زوجك ؟

- نعم .

- أن من السهل على الانسان أن يقطع صفحة من كراسة
حياته ، ولكن مكان القطع يبقى أمامه دائما ..

.. هذا صحيح .

- ولكن الأسهل من هذا أن يتحدث الانسان عن جزء ضاع
من كراسة حياته حتى لا يشعر دائما بهذا الضياع .
فهزت رأسها وقالت :

- اننى لا أشعر فى الواقع بهذا الجزء الضائع من حياتى ..

بل على العكس ان الشيء الذى يقلقنى هو بساطة النسيان ؟ اننى
أشعر بالقلق لانى نسيت أمر زوجى الفارق بسهولة وبساطة ..
لقد مات ولم يمر على موته غير أسابيع قليلة . ومع ذلك فانى
أكاد أنساه تماما .. ان هذا هو ما يشير القلق فى نفسى ويجعلنى
أشعر انى أنسانة بلا وفاء .

فابتسم سكوبى برفق وقال :

- لا داعى لكل هذا القلق أو اللوم النفسى ، لأن هذا هو

الشعور الطبيعى لكل إنسان آخر ، كما اظن . فاذا قال أحد لآخر
« اننى لا أستطيع أن أعيش بدونك » فهو فى الحقيقة يعنى أنه

لا يستطيع أن يعيش وهو يحس أن حبيبته بأئس أو حزين أو محتاج . أما إذا مات الحبيب ، فإن الشعور بالمسئولية نحوه ينتهى . لأن الانسان لا يستطيع أن يفعل شيئاً للميت إلا أن يتركه فى سلام .

وقالت هيلين :

— اننى لم اكن اعرف اننى جامدة الاحساس الى هذا الحد .
— هذا مايخيل لنا أحيانا . . لقد كانت لى طفلة ماتت وهى فى التاسعة ، وكنت اظن اننى لن استطيع الحياة بدونها يوماً واحداً . . وها قد مر على موتها ثلاثة أعوام ، ولكننى أعيش كما ترين ، وكل ما أحمله عنها ذكريات تطوف بى حيناً بعد حين . . وهذا طبعاً لا يعنى جمود الاحساس ، وإنما هى طبيعة الحياة .
— لا شك أن صدمة موتها كانت رهيبة ؟ !

— نعم . . وكانت أشد على أمها لويز . . لأنها كانت معها فى ساعة موتها ، ولأن حزن الأم يكون عادة أقوى وأعمق . . ولكن الحياة بطبيعتها تسير بنا الى الأمام ، لا الى الوراء . . وهذا ما يجعلنا تنقلب على كل صدمة مهما بلغت قوتها .
وازداد شعور كل منهما بالراحة الى وجود الآخر . . وكان الحديث عن وفاة الاحباب قد ضاعف الروابط بينهما ، ويجعل هيلين تقول :

— لست أدري لماذا أحس بالعزاء والراحة معك !

— اعتقد أن الجميع هنا يتمنون أداء أية خدمة لك .

— ربما . . ولكن يبدو لى أنهم يفرعون منى !

ولما ضحك ، قالت مستطردة :

— نعم . . أن الضابط الطيار باجستر صحنى اليوم بعد الظهر الى البلاج ولكنه نفر منى لانى لم اكن سعيدة معه بسبب وفاة زوجى . وكان الجميع على البلاج يحاولون أن يتظاهروا بالسعادة على نحو ما . ولكننى بقيت صامتة ، ولما حاول باجستر أن يفازلنى ويتحسس ساقي ، طلبت منه العودة الى هنا .

— لماذا ؟

— لآنى كنت أشعر بالخوف من البحر .
— وهل كنت تحبين زوجك أشد الحب !!
— اننى أعرف الآن اننى لم اكن أحبه كما كنت اظن . ولعللى
أحبيته لانه كان دائما لطيفا معى ، بإذلا كل جهده لاسعادى ..
ولكن فترة زواجى القصيرة لم تتح لى الوقت الكافى لأعرفه على
حقيقته .. والمعروف أن شهر العسل لا يكشف للزوجين الا
الجوانب الرقيقة العذبة .

— وهل أرسلت الى ابيك تخبرينه بما حدث !
— نعم . وقد أرسل برقية يقول فيها انه سيدبر كل وسيلة
لأعادتنى الى بلدته ، يرى ، ولكننى لا أعرف ماذا سيفعل ، انه
يعيش فى شبه عزلة ، وليس له أصدقاء أو معارف ..
— وماذا ستفعلين عند عودتك الى وطنك ؟

— لا أدرى .. لا شك أنهم سيجندوننى
وقال سكوبى لنفسه : نعم .. سيجندونها .. سيرسلون بها
الى المراكز العسكرية .. الى المطابخ أو المستشفيات .. الى
الجنود الجائعين دائما للجنس ، ولا شك أن ماستلقاه فى هذه
الفترة سيكون أقسى وأعنف مما لقينته وهى على زورق نجاة يتأرجح
بها فوق الأمواج عشرين يوما بلا أمل ..

— الا تعرفين الاختزال أو اية لغة اجنبية ؟
وكان هو يعلم أن المتعلقات المثققات المؤهلات يمكن أن يتجنبن
مطابخ المعسكرات ومستشفياتها ومراكز الترفيه فيها ! .
وردت قائلة :

— لا .. اننى لا اكاد أعرف غير القراءة والكتابة ؟
— هل تعرفين العمل على الآلة الكاتبة ؟

— أستطيع أن اكتب بسرعة بأصبع واحدة .
— اذن يمكننى أن أجد لك عملا هنا . اتنا فى حاجة الى
سكرتيرات بالمحافظة ، أن جميع الزوجات يعملن بها ، ولكننا فى
حاجة الى المزيد . ولكننى أخشى الا يلائمك الجو هنا .
— اننى أتمنى أن أبقى .. هل تشرب معى كأسا . !

ثم نادى الفلام الخادم قائلة :

— يا ولد .. يا ولد ؟ !

وضحك سكوبى وقال :

— انك تتقدمين بسرعة فى التكيف مع الحياة هنا .

وأقبل الفلام يحمل زجاجة الشراب والاكواب . وقال له
سكوبى :

— ما اسمك يا ولد ؟

— فاندى ياسيد .

— اتعرف من أنا ؟

— انك ضابط البوليس الكبير ياسيد .

— حسنا .. اذا اخلصت فى عملك مع السيدة ، فسوف

الحقك بعمل آخر افضل عندما تعود هى الى وطنها .. اتسمع ؟
— أجل يا سيد .

وبعد انصراف الفلام ، وضع سكوبى فى كأس هيلين بعض
الشراب ، وفى كأسه بعضا آخر ، بينما قالت وهى تنصت الى
المطر المنهمر فى الخارج :

— اننى سعيدة بالحديث معك يا ميجور سكوبى ، لانى اشعر

أن فى مقدورى أن أقول لك كل شيء دون الخوف من أن أجرح
شعورك . اننى فى أمان معك .

— كلانا فى أمان معا ..

وظللت الأمطار تحيط بهما ، وتتساقط على السقف المعدنى

برتابة لا تنقطع ، وعادت هى تقول :

— يا الهى .. ما أطيب قلبك .

— لا ..

— اننى اشعر فى أعماق نفسى انك لن تخذلنى يوما .

وقبل أن يرد عليها ، سمع الاثنان طرقا على الباب ، وصوتا
يقول :

— اننى فريدى باجستر .. فريدى باجستر فقط يا هيلين .

وهمست هيلين فى أذن سكوبى وهى تضع ذراعها فى ذراعه :

« لا ترد عليه .. أرجوك .. لا ترد عليه »
ثم راحت ترقب الباب بغم مفتوح قليلا وكأنما تلتقط أنفاسها
بمشقة .. وشعر سكوبي كأنها حيوان صغير يطارده وحش كبير ..
وعاد باجستر يقول بصوت ينم عن السكر :
- افتحي الباب يا هيلين وكوني لطيفة .. اننى باجستر ..
اللطيف .. تأكدى اننى سأجعلك أسعد انسانة الليلة .
وظلت هيلين ممسكة بلذراع سكوبي فى شيء من الخوف
والترقب ، ولما سمعت وقع خطوات فريدى باجستر وهو يبتعد ،
تنهدت فى ارتياح ، ورفعت وجهها الى سكوبي .. وغابت معه
اقى قبلة طويلة .
وثبتت أن الفوارق التى كانا يحسبانها حوائل دون الوقوع
فى الحب ، ليست الا وشائج كانت تشد كلا منهما الى حب الآخر .

« الفصل السابع »

« مزيد من الحب »

ومر شهر !
وقالت هيلين لسكوبي وهما جالسان معا فى الكوخ : والامطآن
تحيط بهما ، وتنساقط على السقف المعدنى كطرقات اصابع
شخص لا يباس من الدخول :
- رأيتك اليوم فى البلاج .. بعد الظهر .
وأحسن سكوبي من نبرات صوتها ، أنها ستتحادث معه كما كانت
تفعل زوجته لويز عند استيائها من شيء . وقال وهو ينظر الى
كاس الويسكى الموضوع أمامه :
- كنت أبحث عن الضابط ريز ، ضابط المخابرات بالسلاح
الجوى .

- ولكنك لم تحاول ان تتحدث معي ..
- كنت متعجلا .
- بل كنت شديد الحذر . كمادتك دائما ..
وأدرك هو لماذا فكر فى لويز عند سماعه نبرات صوت هيلين !
وتساءل فى نفسه : هل من الضروري ان يسمى الحب فى نفس

الطريق ! حقا ان مذاق الحب كان مختلفا .. لقد حاول في العامين
الاخيرين أن يتجنب بقدر الامكان ممارسة الحب مع زوجته حتى
يعفى نفسه ، ويعفيها ايضا من عملية آلية تقوم على النفاق وحدها
وضحك قائلا :

- للمرة الاولى منذ عرفتك يا هيلين لم اكن افكر فيك ، وانما
في شيء آخر .

- اى شيء آخر ؟

- في الماس مثلا ..

- هل يعنى هذا ان عملك اهم شأننا منى ؟

وقال لنفسه : اوه .. لويز .. ولويز دائما .. ولكن لا ..

أن حبه لهيلين يختلف كثيرا عن حبه الذى كان للويز .. لا وجه
للشبه بين الاثنين .

وقال بصوت مسموع :

- ومع ذلك فانى على استعداد للتضحية بعملى من أجلك ،

- لماذا ؟

- لانك ، كما اعتقد انسانة . ان المرء قد يحب كلبا اكثر من

حبه لى شيء آخر يقننيه . ولكن المرء لا يستطيع ان يدوس
بسيارته طفلا ، ولو كان غريبا ، لينقذ كلبه المحبوب .

فقال في ضيق :

- اوه .. لماذا تحاول دائما أن تكون صادقا معى ! اننى لا اريد

هذا الصدق في كل وقت .

وقدم لها كأسا من الويسكى وهو يقول :

- يا عزيزتى .. انك انسانة سيئة الحظ بحبك لى .. انك

تحبين رجلا في منتصف العمر بينما انت لم تبدئى بعد عمرك . ولهذا
لا نستطيع ان يكذب احدا على الآخر كما يفعل الصغار .

- اوه .. لو انك تعلم مدى ضيقى بحذرك ! انك تأتى الى دائما

بعد الغروب .. وتسلل خارجا قبل ان يسفر الفجر .. ان هذا
لا يطاق .

- اجل .

- ونحن هنا في هذا الكوخ العارى نمارس الحب ، ولعلنا اذا

أخرجنا منه الى مكان آخر لا نعرف كيف نمارسه لطول اعتيادنا عليه .

— يا عزيزتى المسكينة !

فهمت قائلة فى حدة وانفعال :

— اننى لست فى حاجة الى عطفك . .

ولكنه كان يعلم انها نالت عطفه وانتهى الامر . ان العطف ينمو فى قلبه دائما كالعشب البرى . انه لا يستطيع ان يتخلص منه ابدا . . انه يعرف بالتجربة كيف يموت الاشتهاء . . وكيف يموت الحب . . ولكن العطف يبقى دائما . لا شيء يقتله او يخفف منه ، لأن طبيعة الحياة ترعاه — ولكن هناك انسانا واحدا غير جدير بالمعطف ، يعرفه هو — انه هو نفسه .

وعادت تقول :

— الا تستطيع ابدا ان تغامر بشيء ؟ انك لم تكتب لى مرة واحدة اية كلمة فى رسالة . انك ترحل احيانا الى المناطق المجاورة لتتشفل بأعمالك يومين او ثلاثة دون ان تترك لى كلمة واحدة . بل انك لا تسمح لى بوضع صورتك هنا حتى أجعل فى هذا المكان شيئا من الحياة .

— ولكن لى لدى صور شمسية !

— لعلك تظن اننى قد استغل رسائلك للاضرار بك ؟

وقال لنفسه فى وهن : لو اننى اغلقت عينى ، لظننت ان لويزا هى التى تتكلم ، وكل الفرق ، ان هذا الصوت اصفر ، واعجز من ان يشير الالم فى نفسى من صوت لويزا . وقال لها والكأس فى يده :

— انك يا عزيزتى تظلميننى .

— اوه . . انك تعاملنى كطفلة . . وتحضر معك كلما جئت مزيدا

من طوابع البريد .

— اننى أحاول حمايتك من السنة السوء .

— انا لا يهمنى اطلاقا ما يقال عنى . . اننى لا اعتبر الحبيب

إخطيئة او عارا .

وقال لها بهدوء :

- اذا كثرت الأقوال عنا ، فإن هذا يعنى نهاية علاقتنا .
- اذن فانت لا تريد حمايتى بقدر ما تريد حماية زوجتك .
- ان الامر سواء .
فهمت في انفعال شديد :
- اتقارنى بتلك .. بتلك المرأة !!

ولم يستطع ان يخفى الشعور بالآلم عند سماعه هذه العبارة .
وادرك ان المرأة ، اية امرأة ، قادرة على اثاره اشد الآلم فى قلبه
الرجل . واسوا من هذا جعلها تدرك نقطة الضعف فيه . لقد وضع
نفسه الآن بين يديها ، وسوف تعرف بعد ذلك دائما كيف توجه
اليه اشد الطعنات المؤلمة . انها الآن كطفل فى يده مقص ، يعرف
مدى قدرته على الابداء .
وقال لها بنفس الهدوء :
- يا حبيبتي .. اننا أحدث عهدا فى الحب من ان نبدأ
الخلافات !

ولكنها قالت وهى تراقب عينيه لتقرأ فيهما الآلم .
- تلك المرأة ! انك لا تفكر أبدا فى تركها .. اليس كذلك ؟
- اننا متزوجان ..

- اذا عرفت بأمر علاقتنا هذه ، فهل ستعود اليها ذليلا كالكلب
المضروب ؟
وقال لنفسه فى عطف : ان هيلين لا تقرأ نفس الكتيب الراقية
التي تقرأها لويز ..
وقال بصوت مسموع :
- لا أدري .

- معنى هذا انك لن تتزوجنى أبدا .. أبدا ؟
- هذا مستحيل .. اننى كاثوليكي المذهب كما تعلمين ؟ ولا
أستطيع من ثم ان أتزوج مرتين .
- انه عذر مدهش .. انه لا يمنعك من ان تعاشر امرأتين فى
وقت واحد .. وانما يمنعك فقط من الزواج بى ..
- نعم ..

وتنهذ فى ألم قائلا لنفسه : لشد ما كبرت فى العمر خلال شهر

واحد ! انها ما كانت تستطيع منذ شهر ان تثور هكذا . ولكنها تعلمت في ثلاثين يوما كيف تحب في خفية عن أعين الناس ! ترى ماذا يحدث لو طالت المدة سنوات ؟ هل سيكون هناك فارق كبير بينها وبين لويز !

وقالت هي :

- استمر في الحديث .. حاول ان تبرر تصرفاتك .

- ان الانسان لا يستطيع ان يبرر ارادة الله .

- اوه ؟ انك تراوغ .. انك تهرب من مواجهة الحقيقة .

وبهدوء قال :

- كنت حسن النية في علاقتي بك .

- ماذا تعنى ؟!

- اعنى انى بدأت علاقتي بك وانا ارجو ان اكون صديقا لك

ان ارفعك واحاول ادخال السعادة على قلبك .

فقالت بلهجة الانسان الذي يتحدث عن شيء مرت عليه

سنوات :

- ألم اكن سعيدة من قبل !

- كنت وحيدة .. تعانيين من صدمة قاسية .

- ولكننى لم اكن اشعر بالوحدة التى اشعر بها الآن . اننى

اذهب حقا مع المسز كارتر الى البلاج عندما يتوقف المطر .. وهناك

يفازلنى باجستر ويطلب ان اسمح له بقضاء ليلة معى . ولكننى

أبدو امامه باردة جامدة الاحساس . ثم اعود الى هنا قبل ان يعود

المطر الى الانهار .. وانتظرك .. ثم نشرب معا بضعة كئوس .

وتعطينى بضعة طوابع يريد كائن طفلة !

فقال وهو يضع يده على يدها ويحس مع كل كلمة كأنه يسير

في حقن ملء بالالغام التى يخشى ان تنفجر تحت قدميه فى كل

خطوة :

- اننى آسف . آسف على كل شيء . وانى مستعد ان افعل

اى شيء لاجعلك سعيدة . اننى مستعد ان امتنع عن الحضور اذا

كان هذا يسعدك . مستعد ان اطلب احالتى الى المعاش وارحل الى

انجلترا اذا شئت .

— وعندئذ تنتهد في أرتياح لأنك تخلصت مني .
 — بل سأشعر أن حياتي انتهت .
 — أرحل إذا شئت .
 — اننى لا أريد أن أرحل . . وانما أريد أن أفعل ما يسعدك .
 فقالت ساخرة :

— أنك تستطيع أن تبقى أو ترحل كما تشاء . أما أنا فلا أستطيع
 أن اتحرك من مكاني هنا ! اليس كذلك ؟

— ان في مقدورى أن أدبر لك امر السفر على أول باخرة تمر
 بنا اذا أردت . .
 فقالت وهى تبكى :

— ولشد ما ستكون سعيدا عندئذ لخلاصك مني !
 ولما مد يده ليفسك يدها ، صرخت في وجهه قائلة :
 — ابتعد عني . . ابتعد عني . . أغرب عن وجهي .
 — سوف أنصرف . .
 — نعم . . اخرج ، ولا تعد مرة أخرى .

وفي خارج الكوخ ، والمطر يخفف من حرارة وجهه ، وينساب
 على يديه ، فكر في كم تكون الحياة هينة لو انه استجاب لهيلين
 وقرر ألا يعود اليها . انه عندئذ سيذهب الى بيته ، ويفلق الباب
 على هذه المرحلة من حياته نهائيا ، ويكتب رسالة الى لويز ، لا يكون
 فيها مخادعا أو مرائيا ، ثم يستغرق في نوم لم ينعم بمثله منذ امدا
 بعيد ، وفي اليوم التالي يذهب الى مكتبه ، ثم يعود الى بيته
 الهادئ ويفلق الباب ، وينعم بالسكينة والسلام . . ولكنه ، وهو
 يهبط التل ، ويتجاوز مركز النقل البرى ، والمطر يتساقط
 كالدموع ، عاد يفكر فيها وفي وحدتها بالكوخ ، وفي حياتها المقبلة
 مع المسز كارتر والشباب باجستر حتى تأتى احدى البواخر
 وتنقلها الى مرحلة أخرى من حياتها . . انه على استعداد لان يمتنع
 عن الذهاب الى كوخها اذا كان في هذا الامتناع سعادة لها ، وكان
 فيه عذابه . اما ان يكون هو سعييـدا ، وهى معذبة ، فهذا
 ما لا يستطيع أن يواجهه . . وتراءى له وجهة النظر الاخرى فى

طريقه كأنها البريئة الذبيحة.. نعم .. انها على حق.. وان اسرافه في اتخاذ الحذر لا يمكن ان يطاق .

ولما فتح باب غرفة الجلوس ، رأى فأرا كان يحاول البحث عن منفذ الى خزانة الطعام ، يتراجع ببطء ويصعد الى غرفة النوم . وتذكر سكوبي أن لويز ليست موجودة ، والا لصرخت فزعا لرؤية الفأر .. انها الآن في المكان الذي أرادت ان تذهب اليه .. انها سعيدة ، وما عليه الا أن يدخل السعادة ايضا على قلب هيلين .. ان هذه مسئوليتها نحوها .. ومن ثم جلس الى منضدة الكتابة و تناول ورقة من اوراق المكتب الرسمية ، وسجل في الركن الايمن منها تاريخ اليوم والساعة وكأنه ينوى ان يكتب تقريراً رسمياً عن حادث ما . وكتب ما يلي وقد أزعج ان يضع نفسه بين يديها تماماً : « حبيبتي : اننى احبك اكثر من أى شيء في الدنيا .. اكثر من زوجتي ، واكثر من .. من نفسي ومستقبلي ، وارجوك ان تحتفظي بهذا الخطاب .. لا تحرقيه ، وكلما غضبت منى اقرئيه .. اننى أحاول ان اكون صادقاً معك .. ان كل هدفى في الحياة ان أجعلك سعيدة . اننى احبك .. احبك .. فسامحيني » .

ووقع على الرسالة وطواها ، ثم ارتدى معطف المطر ، وغادر البيت ، وعاد في طريقه الى كوخ هيلين ، غير حافل بالظلام ، ولا بالامطار المنهمرة ، ولا بطول المسافة ذهاباً وإياباً .. ولما وصل الى الباب ، دفع بالرسالة من تحته الى ارضية الكوخ الاسمنتية . وشعر بالارتياح وهو يعود الى بيته .. انها لن تهتمه بعد اليوم بالمبالغة في الحذر او الخوف على نفسه من احداً يا كان .

« الفصل الثامن »

« الرسالة الضائعة »

دخل سكوبي مكتبه وهو في الطريق الى مقابلة الحكمदार وفوق المكتب رأى رسالة قصيرة مكتوبة بالقلم الرصاص من ويلسون « جئت لزيارتك ، لا لأمر هام » وتذكر سكوبي انه لم يز ويلسون منذ عدة أسابيع ، واذا كانت زيارته ليست لأمر هام ، فلماذا جاء ، ولماذا ترك هذه الرسالة . وفتح درج مكتبه ، وشعر

لاول وهلة ان يدا عبثت بمحتوياته ! فما معنى هذا ؟ هل كان
ويلسون يفتش مكتبه خلسة ؟ ولماذا ؟ أم لعله كان يبحث عن قلم
يكتب به الرسالة ؟

واقبل احد الجاويشية وقال :

— لقد جاء المستر ويلسون لزيارتك .

— نعم .. اعرف .

وفي مكتب الحكمدار ، قال هذا « اى الحكمدار » لسكوبى :

— ويسكى ؟

— لا شكرا .. هل تثق بى يا سيدى ؟ .

— نعم ...

— وهل انا الوحيد الذى لا يعرف الحقيقة عن ويلسون ؟

وابتسم الحكمدار وتراخى فى مقعده وقال :

— لا يعرف حقيقة أمره رسميا الا انا ومدير الشركة التى يعمل

بها . والحاكم العام طبعاً ، واى موظف يعمل فى رقابة الرقيات .

اننى مسرور لمعرفتك هذه الحقيقة بنفسك .

— اننى اريد ان اعرف هل انا حتى — هذه اللحظة — موضع

ثقتكم ؟

— طبعاً يا ميجور سكوبى .

— رغم كل ما يشاع عن علاقتى بالتاجر يوسف ؟

— اننا لا نترك الشائعات تتحكم فى أعمالنا كما تعرف باميجور

سكوبى .

— ولكن هناك شيئاً لا تعرفه . لقد اقترضت من يوسف مائتى

جنيه لادفع نفقات سفر لويى الى جنوب افريقيا .. وانى ادفع له

إفائدة مقدارها اربعة فى المائة . وهذا مجرد اجراء مالى لا اكثر .

إفاداً رايت اننى خالفت القانون فيمكنك أن تحاكمنى .

فقال الحكمدار بمطف :

— يسرنى ان اسمع منك هذا . لان ويلسون يعتقد ان يوسف

يهددك بشيء ما ، ولا مندوحة من أن يعرف بأمر هذا القرض يوماً .

— ان يوسف لا يستطيع ان يسيطر على المال .

- هذا ما قلته لويلسون .
 - هل تريد أن تحاكمنى ؟
 - لا يا سكوى . انك الوحيد الذى نثق فيه تمام الثقة .
 وتصافح الرجلان فى صمت :
 وقال الحكمدار بعد برهة وجيزة :
 - لقد ورد الينا بلاغ من بلدة دبرى بحدوث سرقات كبيرة
 فى مناجم الماس .
 - الماس الصناعى ؟
 - لا .. الطبيعى .. ولا شك أن يوسف او طالوت وراء هذه
 السرقات .
 - اعتقد انه يوسف ، لانه لا يتعامل فى الماس الصناعى . انه
 يسمى هذا النوع من الماس حصى .. ولكن لا بد لنا من أدلة كافية .
 - لسوف تصل الباخرة « أسبرانكا » بعد أيام قليلة ، ويحسن
 أن نراقبها بحذر وامعان .
 - وما رأى ويلسون فى هذا الشأن ؟
 - انه يؤمن ببراءة طالوت ، ويعتقد أن يوسف هو المهرب
 الوحيد للماس .
 - اننى لم ار يوسف منذ مدة طويلة .
 - اننا نعرف هذا ، وبهذه المناسبة أخبرك أن ويلسون يراقبنا
 جميعا ويفدّم تقاريره عنا .. شك وعن فريزر وتود وئمبليج ؟
 ويرى اننى متساهل جدا ولكن هذا كله لا يهم ، لأن الكولونيل رايت
 يمزق تقاريره ، وان كان ويلسون يقدم تقاريره عن رايت ايضا .
 - وهل هناك من يراقب ويلسون ويكتب التقارير عنه !
 - اعتقد هذا .

وسار سكوى ، فى منتصف الليل الى منطقة الاستراحات
 الحكومية . وكان يشعر بالامن بسبب حالة اطفاء الأنوار العامة .
 وهذا يعنى انه غير مراقب ، وغير معرض لأن يضع أحد تقريرا عن
 زيارته لكوخ هيلين فى مثل هذه الليالى . ولكن كان عليه أن يتخذ
 جانب الحذر ، لأن الكوخ الذى يقيم فيه ويلسون مع هاريس لم

يكن يبعد عن كوخ هيلين الا مسافة يسيره . واحس بتعب شديد وقال لنفسه : لسوف أمضى الى البيت . لن اتسلل اليها هـ الليلة . لقد كانت كلماتها الأخيرة امرا لى بعدم العودة . الا يستطيع الانسان ، لمرة واحدة ، أن يحمل كلام انسان آخر على محمل الجـ وتوقف سكوبى على مسافة ثلاثين خطوة من كوخ ويلسو وهاريس . وكان ثمة ضوء خفيف ينساب من فرجة الستائر وسمع صوت رجل مخمور يغنى من بعيد . وظلت الأمطار تلغـ وجهه وتهدىء من ثورة نفسه . وعاد يقول : لسوف أعود الى بيتى الى فراشى . وفى الصباح ساكتب رسالة الى لويـ ، وفى المسـ سأذهب لأعترف بذنوبى بين يدي القسيس . وبهذا أعود الى رحمـ الله . وستعود الحياة كما كانت ، بسيطة خالية من الهموم . وظلت الأمطار تتساقط امامه كالنار ، واخذت الاحوال تثـ تحت قدميه وهو يسير نحو كوخ هيلين .

وطرق الباب مرتين . وفتح الباب فورا . وكان يستهل فى قرارة نفسه ، بين الطرقتين . الا يفتح الباب .. ان ترفض هيلين ، بسبب غضبها منه ، الا تسمح له بالدخول . ولكن الباب فتح ؟ واذك أنه لا مفر له من ان يدخل ، وان يحب وان يقبل المسؤولية ، وان يكذب .

وسمعه يقول بحرارة وشوق :

— أوه .. يا حبيبى .. لقد عدت وكنت أحسبك لن نعود أبدا بعد كل ما فعلته بك !

— اننى لا أستطيع الا ان آتى اليك كلما شئت .
— احقأ !

— نعم .. طالما بقيت على قيد الحياة .

وقال لنفسه « رحمك يا الهى .. اننى أغضبك .. ولكن .. نهل تقبل ان أرضيك على حساب سعادة واحدة من مخلوقاتك ؟ »
واسدلت هيلين الستائر بعناية وقالت وهى تلقى بنفسها بين ذراعيه :

— كنت أخشى الا نعود يا حبيبى .

— وهل كان يمكننى ان أفعل هذا .

- لقد امرتك بعدم العودة .. والآن أرجوك الا تحفل بما اقوله
لك في ساعة الغضب .. عدنى بذلك .

وقال وهو يشعر كأنه يوقع بيده على وثيقة مستقبله كله :
- اعدك .

وقالت وهى تزدد تشبثا به :

- اتعرف ماذا كنت سأفعل لو لم تعد الى ؟ كنت سأسلم
نفسى لباجستر ، او انتحر .. او ارتكب الأمرين معا .

- لا لا .. لا ينبغي ان نفكر فى شيء كهذا ، لسوف أكون دائما
بجانبك طالما انت فى حاجة الى ، وطالما كنت انا على قيد الحياة .

- لماذا تقول دائما عبارة « طالما كنت على قيد الحياة ؟ »
لان الفارق بينى وبينك ثلاثون عاما .

ولاول مرة فى تلك الليلة تبادلا قبلة طويلة ، قالت هبلين بعدها:
- اننى لا اشعر بهذا الفارق .

- ولكن لماذا كنت تظنين اننى لن اعود .. ألم نقرى رسالتى
اليك .

رسالتك ؟ !

- الرسالة التى دفعت بها من عتبة الباب امس !
فقال فى جزع :

- اننى لم ار رسائل قط هنا .. ماذا قلت فيها ؟ !

فلمس وجهها برق ، وابتسم حتى يخفى شعوره العميق
بالخطر ، وقال

- كل شيء . اردت ان اثبت لك اننى لا اتخذ جانب الحذر
خوفا على نفسى . لقد ذكرت فيها كل شيء . بخط يدى .

- ووقعت عليها باسمك ؟

- نعم .

- ان هناك حصيرة وراء الباب .. لعلها دخلت تحتها .

ولكنهما كانا يعلمان انهما لن يجدا الرسالة تحت الحصير ،
وقالت هى :

- ترى من اخذها ؟ !

وحاول أن يهدى من روعها !

لعل خادمك حسنها ورقة مهمة والقي بها فى الطريق !
انها لم تكن داخل منظروف . ولن يعرف احد شخصية المرسل
اليها ، لاننى لم اكتب اسمك عليها

— ولكن اذا وقعت الرسالة فى يد عدو لك فسوف يستطيع
أن يهددك بها ويرغمك على تنفيذ رغباته .. اننى خائفة عليك
يا حبيبى .. خائفة جدا ، اننى اتمنى أن أموت قبل أن ينالك
هوء على يدى .

— أن الأمر لن يصل الى هذا الحد .. اطمئنى .
ولكنها استطردت تقول بحرارة :

— لاتدعنى اسمى اليك يا حبيبى .. أرجوك .. أرجوك .
بربت على يدها برفق وقال :

— انك لن تسمى الى يوما .. ولا تجزعى بشأن الرسالة
الضائعة ، يبدو اننى بالفت فى اهميتها . ولا اعتقد ان أى شخص
قريب يستطيع أن يفهم منها شيئا محددا . فلا داعى للقلق
يا عزيزتى .

— اسمع يا حبيبى .. لاتمكث الليلة هنا .. ان اعصابى
مضطربة .. ويخيل لى أن هناك من يراقبنا . انصرف الآن ، ثم
عد غدا .. او بعد غد .. أرجوك أن تعود ..

كان الضوء لا يزال ينساب من فرجة الستائر فى نافذة كوخ
هاريس وويلسون عندما سار سكوبى فى طريق العودة الى بيته .
ولما فتح باب البيت ، فوجىء برؤية رسالة صغيرة ملقاة على الارضية
ونخيل اليه برهة ان رسالته الضائعة قد عادت كما تفعل القطعة
عندما يحاول أصحابها ان يتخلصوا منها . ولكنها لم تكن رسالة
حين التقطها . بل لم تكن رسالة على الإطلاق ، وانما برقية واردة
اليه من مركز الشرطة . وكان التوقيع عليها « لويز سكوبى »
فحملق فيها كأنها شيء مفزع . وقرا فيها مايلى :
« اننى فى طريق العودة . احبك . لويز سكوبى »

وجلس في اقرب مقعد وقال لنفسه بصوت مسموع « يجب أن أفكر فيما ينبغي أن أفعل » . وراح يفكر ، لو أنني فقط لم اكتب تلك الرسالة لهيلين ؟ لو أنني لم أعد اليها حسب رغبتها ؟ اذن لا يمكن أن ابدا الحياة مع لويز ببساطة ويسر . ولكنه يتذكر الكلمات الاخيرة التي قالها لهيلين عن استعدادده للبقاء بجانبها طالما كان على قيد الحياة . ان هذا وعد مقدس قطعه على نفسه ، فماذا يفعل ؟ ان الرياح تهب من ناحية البحر ، الامطار لا تزال تنهمر ، ومضاريع النافذة في غرفة النوم تصطفق بعد ان تخلصت من مشاكلها . . واحس كأنه في عالم غريب ، وعاد يفكر : ماذا في وسعي أن اقدم لهما ؟ . لهيلين ولويز ؟ لماذا أنا بالذات ؟ ان العالم ملئ بالشبان والرجال الاصغر سنا الذين يمكنهم أن يكونوا اقوى حبا واقدر على توفير الاستقرار لمن يحبون .

وحاول أن يبتهل الى الله ، ولكن الابتهاال ظل راكدا على لسانه كأنه جثة هامدة . انه لا يطلب من الله ان يرزقه مالا . . وانما يطلب شيئا اثنى من المال . . انه يطلب السعادة للآخرين . والسكينة والسلام لنفسه « اننى لا اريد أن ادبر امرى او امر احد بعد اليوم . انهم لن يحتاجوا الى اذا مت ، لأن الحى لا يحتاج الى الميت فى شئ » ، والميت ينسى عادة . اوه . . يا الهى . . هبنى الموت قبل ان اعجز عن وهب السعادة لمن أحب »

ولكن . . لا . . يجب أن يهدأ او لا يترك اعصابه تنهار . لقد قال له القسيس يوما ان تمنى الموت خطيئة لا تفتقر . ولكن . . من يدرى الى اى مدى يمكن ان تشمل رحمة الله البشر !

ووضع الكأس من يده ، وقرر ان يتمالك اعصابه . ان سعادة شخصين مرهونة به الآن . وان عليه أن يبحث فى هدوء عن مخرج من هذا الموقف العصيب . وتناول دفتر يومياته وبدأ يكتب كما اعتاد أن يفعل كل ليلة .

الاربعاء ، ٦ سبتمبر : العشاء مع الحاكم . حديث مرضى عن و . زيارة لهيلين قصيرة الامد . برقية من لويز تعلن انها في طريقها الى .

« الفصل التاسع »

« الثمن . . مرة أخرى »

ظلت كلمات البرقية تعصف برأس سكوبي أثناء عمله ، واثناء الحفلة التي اقامها اعضاء النادي بمناسبة ورود كمية من لحم الضأن من الأرجنتين ، واثناء حيرته وهو يرى هيلين تنظر اليه ظيلة الحفلة وكأنها تريد أن تقول له شيئاً هاماً ولكنها لا تعرف كيف تنفرد به .

ولما عاد في منتصف الليل الى بيته ، وجد تابعه (على) في انتظاره على غير المعتاد ، وكان جالساً على درجات السلم الأمامي يغالب النوم . ولما فتح عينيه ورأى الميجور سكوبي ، قال له وهو يخرج من صدره رسالة في مظهر :
— هذه من السيدة . . .

— ولماذا لم تتركها على منضدة الكتابة !
— لأن السيد يوسف في انتظارك بغرفة الجلوس .
وكان يوسف مسترخياً على الأريكة ، ممدداً ساقيه على مقعد أمامه ، يتنفس بانتظام يدل على أنه نائم .
وقال على :

— حاولت أن أصرفه ، ولكنه أصر على البقاء .
— حسناً . . اذهب أنت الى فراشك .
وشعر سكوبي أن يداً مجهولة توشك أن تطبق عليه وتخنق أنفاسه في صدره . والا فماذا يدعو يوسف الى زيارته هكذا في بيته ؟ ! انها أول مرة يجرو فيها على مثل هذه الزيارة ! فما معنى هذا ؟

وتسلل في حذر حتى لا يوقظ النائمة ، وجلس بجوار المصباح وراح يقرأ الرسالة التي تركتها له هيلين :
« يا عزيزي . . ان الامر خطير . ولم استطع أن أخبرك به في الحفلة . ولهذا كتبت اليك هذه الرسالة . ولا شك أن « عليا »

مؤمن على اسرارك . فعندما سمعت أن زوجتك فى طريقها الى هنا ...

وهنا فتح يوسف عينيه وقال وهو يعتدل فى جلسته :

— معذرة يا ميجور سكوبى على تطفلى .

— هل تريد كأس شراب ، بيرة ، أوجن . . ليس لدى ويسكى

الآن .

فقال يوسف بسرعة آلية :

— هل أرسل اليك صندوق ؟

ثم راجع نفسه وضحك قائلاً :

— اننى انسى دائماً أنك لاتقبل منى أية هدية .

وقال سكوبى وعيناه على بقية الرسالة :

— ماذا تريد يا يوسف ؟

« عندما سمعت أن زوجتك فى طريقها الى هنا شعرت بالتعب

الشديد وبالمرارة . . ولكن هذه حماقة منى . فانك كاثوليكي

المذهب . ولا حيلة لك فى الامر ، وحتى اذا لم تكن ، فلعلمك تكره

أن تغير مجرى حياتك ... »

وقال له يوسف :

— اقرا رسالتك أولاً . . ان فى مقدورى أن انتظر .

— الامر ليس هاماً . . اخبرنى ماذا تريد يا يوسف .

وعاد يقرأ « وهذا مادفعنى الى الكتابة . لقد وعدتني أمس

بالبقاء بجانبى طول حياتك . . وأنا لا أريد أن أستغل وعودك لى

. . اننى أحلك منها كلها » . .

— ميجور سكوبى . عندما أقرضتك المال ، أقسمت لك اننى

فعلت هذا بدافع الصداقة التى احسها نحوك . اننى لم اكن انوى

أن اطلب منك شيئاً ، حتى الفائدة . ولكنك أصررت على دفعها . .

— حسناً يا يوسف . . اننا اتفقنا ولا داعى لنقض الاتفاق .

« . . أما وعودك الحقيقية فيجب أن تكون لزوجتك . أرجوك

أن تذكر دائماً اننى لا أريد منك شيئاً . . زرني اذا شئت ، وامتنع

عن زيارتى اذا شئت ، لأن حبى لك بلغ الحد الذى أصبحت فيه

راضية بكل ما يرضيك »

وقال يوسف؛

— ميجور سكوبى . لقد جئت الليلة لأطلب منك أن تقوم
بخدمة لى . ولست أطلبها مقابل القرض .. وإنما .. وإنما مقابل
شيء آخر ..

— ماذا تريد يا يوسف .

— ان الباخرة اسبرانكا سوف ترسو بعد غد فى الميناء . وأريد
أن تسلم لربانها الهولندى كيسا صغيرا .

— وماذا فى الكيس ؟

— لا داعى لأن تسأل يا ميجور سكوبى . يكفى أن تثق أن
ما فى هذا الكيس لن يضر أحدا على الإطلاق .

— أنت تعرف يا يوسف اننى لا أستطيع أن أفعل شيئا من
هذا القبيل .

فانحنى يوسف نحوه وقال وهو يضع يده على صدره كأنه
يقسم :

— أؤكد لك يا ميجور سكوبى ان ما فى الكيس لن يضر فى أبهى
الألمان . وليس فيه ماس صناعى .
— ماس طبيعى اذن !!

— يكفى انه لن يذهب الى الألمان ، ولن يضر بقية الحلفاء .
— وهل تعتقد يا يوسف اننى أقبل أن أقوم بخدمة كهذه ..
مهما يكن الثمن !

— اننى لا أعرض عليك ثمنا ، ولا رشوة .. إنما هى الصداقة
الخالصة . أرجوك أن تقبل . ومستعرف بعد ذلك اننى من أخلص
الناس لك .

— اننى لا أقبل .. ولا أريد صداقة تقوم على أساس كهذا .
— هل تعرف الخادم الذى يعمل عند السيدة هيلين رولت ؟
— ما شأنه ؟ !

— انه ابن عم خادمى الخاص . وقد أحضر لى رسالة عثر عليها
تحت حصر كوخ السيدة هيلين .. أوه .. ما الذى جعلك تكتسب
رسالة كهذه يا ميجور سكوبى ..

فقال سكوبي في ألم نفسي مريو ؟
 - لان الافدار شءات ان تضعنى بين يديك ! والآن .. ماذا
 تريد ان تفعل بالرسالة يا يوسف ؟
 - ان زوجتك فى طريقها الى هنا كما نعرف جميعا . فهل
 تجيب ان اسلمها الرسالة بمجرد وصولها ؟
 وقال سكوبي فى استسلام :
 - واذا سلمت الكيس لربان الباخرة اسبرانكا ؟
 - سيكون خادمى فى انتظارك على رصيف البناء ، وسوق
 يرد اليك الرسالة عندما تسلمه الايصال الذى سيعطيه لك الربان .
 - وهل تثق فى خادمك ؟
 - كما تثق انت فى على .
 - ومن يضمن لى أنك سترد الرسالة الى بعد ان احقق لك
 هاتريدا !
 وابتسم يوسف قائلا :
 - صداقتى لك .
 - حسنا .. اتفقنا !
 ولما انصرف يوسف تاركا الكيس فى عهدة سكوبي ، قال هذا
 لنفسه بمرارة :
 - ما افدح الثمن الذى ادفعه دائما لاسعاد لويز !

طارق سكوبي بيد مترددة على باب مقصورة لويز بالباخرة
 وهو يتمنى ان يجد معها بعض السيدات ، حتى لا يلقاها على
 انفراد بعد غيابتها . ولكن لويز كانت بمفردها حين فتحت له
 الباب ، والقت بنفسها بين ذراعيه واخذت تقبله بحرارة وهى
 تقول :

- اوه .. هنرى .. ها انا عدت اليك .
 وراح يفتش فى ذهنه عن العبارات التى كان يحفظها ليقولها !
 - أجل يا عزيزتى .. لقد عدت اخيرا .
 - ان زميلاتي فى المقصورة خرجن منها لكى القاء على انفراد .

— هل كانت رحلة طيبة ؟

— اعتقد ان احدى الفواصات حاولت ان تطاردنا .

وقال لنفسه « الآن سأبدأ الكذب » ثم رد بصوت مسموع !

— كنت لهذا السبب شديد القلق عليك . ولشد ما كانت

اشواقي اليك !

— كنت حمقاء حين أردت القيام بهذه الرحلة . . هلم بعد

الى البيت بسرعة .

ووقف سكوبى فى نافذة غرفة النوم ريثما تفرغ لويز من

الاشراف على نقل امتعته الى البيت . وراح يتطلع الى منطقة

الاستراحات الحكومية . . الى كوخ هيلين . . وبدأ له ان المسافة

بينه وبينها قد اتسعت الى مالا نهاية ، وان شعوره بالآلم للفراق

قد زال ، وان الامر لم يكن الا نزوة دفعه اليها احساسه بالشباب

الذاهب . وراح يتساءل : هل كنت اكذب عليها حين كتبت لها تلك

الرسالة التى كلفتني غاليا من اجل استردادها ؟ هل انا حقا كنت

احبها اكثر من حبي للويز هل انا ، فى اعماق قلبى احب

الاثنين ، ام اننى ، بطبيعتى ، اسبغ عطفى على كل محتاج الى

المطف !

وقطعت لويز عليه افكاره حين اقبلت قائلة :

— لقد فرغت الآن ، اتعرف انى احضرت معى عددا كبيرا جدا

من الكتب . !

— ولكنك لم تخبرينى عن السبب الذى جعلك . . .

— ارجوك الا تسخر منى اذا قلت لك يا حبيبى . . لقد تبينت

فجأة اننى كنت حمقاء بسبب غضبى وسخطى لانهم يخطوك فى

الترقية . .

وطوقته بذراعها وقبلته قائلة :

— هل انت سعيد بعودتى ؟

— جدا . .

— هل تعرف ان من اسباب قلقى عليك حقوى من ان تكون

مهملًا فى أداء واجباتك الدينية كاي كاثوليكي متدين !

— أخشى أن أكون كذلك .

— هل كنت مهملاً في حضور القداس كل يوم أحد ؟

— الواقع أنني لم أذهب قط إلى الكنيسة منذ رحيلك .
فتراجعت عنه قليلاً وقالت بلهجة جادة :

— أوه .. تيكى .. أرجو أن ترضيني وتذهب معي غداً صباحاً للطهارة .. يجب أن تظهر أولاً قبل أن نبدأ حياتنا الزوجية مرة أخرى .

ولم يسع سكوبي إلا أن يقول :

— حسناً يا حبيبتي .. لك ماتريدين .

— ولكن عليك أن تذهب للاعتراف أولاً بعد ظهر اليوم .

— أنني لم أفعل شيئاً رهيباً يستحق الاعتراف .

— يكفي أنك لم تذهب إلى القداس كل يوم أحد .. وهذا وحدها خطيئة كبيرة .. مثل خطيئة الزنا —

— حسناً .. لسوف أذهب للاعتراف بعد الغداء .. لأنى لا أستطيع أن اعترف .. بمعدة خاوية .

— أوه .. ماذا بك يا عزيزتى .. لقد تغيرت كثيراً .

— كنت أمزح معك فقط .

— أنك لم تكن من قبل مرحاً على هذا النحو ..

وكاد أن يقول لها :

« لأن اليأس تماماً لا يسعه إلا أن يكون مرحاً ! »

وبعد أن فزع من الغداء « الذى لم يعرف له مذاقاً ولا نوعاً » قال :

— يجب أن امضى الآن .

— إلى الأب رانك ؟

— لا .. سأذهب أولاً لزيارة ويلسون . أنه يقيم الآن فى كوخ

بمنطقة الاستراحات الحكومية مع هاريس .

— ألا يكون الآن فى المدينة ؟

— أعتقد أنه عاد ليتناول غداءه .

وقال لنفسه وهو يمضى إلى كوخ هيلين :

« كم مرة فى المستقبل سوف اضطر الى اتخاذ ويلسون حصاراً لزيارتى لكوخ هيلين ؟ ولكن لا .. ان هذا الادعاء لن يصلح الا مرة واحدة ، لانه يتناول طعام غذائه عادة فى المدينة »
وظرق على باب كوخ ويلسون ، وفتحته هاريس قائلاً ..

« تفضل بالدخول يا ميجور سكوبى . اننى اعانى من الحمى »
« هل ويلسون موجود ؟ »
« لا .. يتناول غذاءه فى المدينة . »
« حسناً .. كنت اريد ان اقول له ان لويز عادت ومعها كتيب كثيرة . ولاتنس ان تاتى معه لزيارتنا . »
فابتسم هاريس وقال :

« انت تعرف يا ميجور سكوبى اننى لا ازور احداً فى منزله »
لانى لم اعود هذا .. ولكننى سأحاول اذا شفيت من هذه الحمى فى الوقت المناسب »

ومضى سكوبى فى طريقه الى كوخ هيلين وهو مطمئن الى انه قد نجح فى المناورة ، فان هاريس سيقول لويلسون انه جاء لزيارته ولم يجده ، وسيقول ويلسون هذا للويز اذا سألته .

وقالت هيلين له وهى راقدة فى فراشها :

« لماذا طرقت على الباب قبل ان تدخل ؟ »
« أخشى ان يكون هاريس يراقبنى من النافذة »
« لم اكن اتوقع ان تاتى اليوم . »
« كيف عرفت ان لويز وصلت اليوم ؟ »

« ان كل انسان هنا يعرف كل شىء - الا شيئاً واحداً . وهو علاقتنا هذه فما أبرعك ؟ لعل نجاحك فى اخفاء هذه العلاقة يرجع الى انك شرطى كبير . »

وجلس على حافة الفراش ، واخذ يدها بين يديه وقال :

« لماذا ترقدين ؟ »
« مجرد صداع بسيط »
« اقلل بذهن شارد : »

- يحسن أن تهتمى بصحتك .
- أن هناك ما يقلقك يا سكوبى .. هل حدث شيء ؟ !
- لا شيء مما تظنين .
- يا حبيبى المسكين ؟ أتذكر الليلة التى امضيتها هنا ؟ كنا متعبين تماما بلا قلق أو خوف .. أليس كذلك ؟
- نعم .
- إذن لماذا ترغمنى الحياة على أن نرتد دائما الى التعاسة ؟
- لأننا نخطئ ونمزج آراءنا عن السعادة بالحب ..
- ولما استغرق فى أفكاره ، قالت :
- فيم تفكر يا حبيبى ؟
- فى شيء بشير قلقى لم أكن قد اتخذت فيه رأيا .
- وما هو ؟ !
- أن لويز تريد منى أن أذهب معها للطهارة غدا فى الكنيسة ؟
- وأنا الآن فى طريقى الى الاعتراف .
- فتنهدت بارتياح وقالت :
- أهذا كل شيء ؟ !
- ونظر اليها مدهوشا من جهلها بخطورة الأمر ، وقال ؟
- إذا لم أذهب الى الطهارة غدا فسوف تعرف لويز أن .. أن هناك شيئا خطيرا فى حياتى .
- فأرسلت ضحكة قصيرة وقالت :
- ولماذا لا تذهب ؟ !
- فعاد ينظر اليها بدهشة بالغة وقال :
- إذا ذهبت بدون اعتراف فسوف أرتكب خطيئة لا غفران لها فى الدنيا أو الآخرة .. انها خطيئة المخلوق الذى يريد أن يخدع الخالق .
- وهل انت تؤمن حقا بعذاب الجحيم ؟ !

— اتنى اومن اشد الايمان بوجود عذاب قى الآخرة من اى نوع .

فابتسمت فى تهكم وقالت :

— اذا كنت تؤمن بهذا حقا ، فلماذا انت هنا الآن ؟
وتذكر عندئذ انه كان دائما يفكر ان الانسان الضعيف الايمان
يكون فى العادة ابعد نظرا او اقدر على الجدل من المستغرق فى ايمانه
.. وقال لها :

— انك على حق فى هذا ..

ولكن سكان القرى على سفوح جبل فيزوف يعيشون وهم
يعلمون ان البركان قد يثور فى اى يوم ويرسل عليهم العذاب حمما
ونارا ..

وهو .. ؟

انه رغم كل تعاليم الكنيسة يخشى ان الحب ، اى نوع من
الحب ، يستحق الرحمة — اى نوع من الرحمة ، ان الحب سيدفع
الشن .. نعم ، وسيدفعه غالبا .. ولكن ليس الى مالا نهاية ..
ومن يدري .. فربما اتيح له ان يحب الفرصة للاستغفار ..
ولما اخبرها برايه قالت :

— وهل يفيد الندم فى ساعة الاحتضار ؟

فقال وهو يقبل راحة يدها :

— لن يكون من السهل على ان اندم على حى هذا ، ان فى مقدور
الانسان ان يندم على الاكاذيب ، او التعاسة التى يسببها
للغير ، او على اية خطيئة .. ولكنى لا ارى كيف استطيع ان اندم
على الحب !!

فالت بنفس لهجة التهكم والاحتقار التى بدت كأنها تجذبها
عنها بعيدا الى شاطئ الامان :

— حسنا .. وماذا يمنعك ان تذهب وتعترف للكاهن الآن . ان
الاعتراف لن يحول بينك وبين مواصلة هذا اللون من الحب طبعاً ،
— لا قيمة للاعتراف اذا لم يكن العترف ناوياً بجد ان يتوب عن
ذنوبه التى جاء ليعترف بها .

وهنا قالت بلهجة المنتصر فى معركة :

— حسنا جدا .. مادمت قد ارتكبت خطيئة لاغفران لها ، فماذا
يقصرك ان تضيف اليها خطايا اخرى ؟
وقال لنفسه :

ان الاتقياء سيقولون ان الشيطان هو الذى يتكلم الان على
لسان هيلين ، اما انا ، فاعتقد ان الذى يتكلم هو الانسان البسيط
الذى لاخبرة له ، ولا تجربة .
وقال لها :

— هناك فارق كبير ، ولست قادرا على التفسير . اننى اضع
حبنى لك الآن فوق .. فوق شعورى بالامان . اما الذهاب الى
الطهارة بلا اعتراف حقيقى فشيء آخر .. شيء خطير .. انه يشبه
الذى يسرق مال الكنيسة ليسكر بها .. ان الانسان الذى يفعل
هذا .. كالذى يأكل الخبز المقدس وهو غير مطهر كأنما يخلل
المسيح فى ساعة محنته !
فأشاحت بوجهها وقالت :

— اننى لا افهم شيئا مما تقول . ان كل ما قلته الان لغز ..
— لشد ما أتمنى أن يكون كذلك .. ولكننى شديد الإيمان
به ..
وهنا قالت بحدة :

— اعتقد انك مؤمن حقا بما تقول . ولكن أين إيمانك هذا عندما
بدانا الحب ؟ ام لعلك تريد ان تتشبث الآن بتلايب الورع والتقوى
ولتتخلص منى ..

فقال لها وهو يرفع يدها الى فمه :
— اننى لن احاول أن اتخلص منك أبدا . ولكننى افكر فقط فى
الخروج من المازق . اطمئنى ..

ونهضت جالسة ونظرت اليه طويلا ، ثم قالت :
— وماذا تنوى ان تفعل ؟
وهز كتفيه قائلا :

— ليس امامى الآن الا ان ارجى ارتكاب هذه الخطيئة الرهيبة
الى آخر فرصة ممكنة ..

- وكيف ؟ ..
- فطوقها بذراعه وقال
- سادعى الإصابة بمرض مفاجيء غدا صباحا ..
- وفي الاسبوع التالى ؟!
- فابتسم وقال :
- من يدري ماذا سيحدث فى الاسبوع التالى ..

« الفصل العاشر »

« موقف غرامى ! .. »

اعاد ويلسون قراءة القصيدة الفرامية اثنى نظمها واهداها الى « ل.س » اى « لويز سكوبى » ونشرها فى مجلة اقليمية بانجلترا .
وكان مطلعها كما يلى :

« روميو جديد على ساحل بعيد
يرفع كأس الحب .. والموت الى شفتين ..
مارك انطونيو آخر على شاطئ مظلل بالنخيل
يرقب غرامه وهو يغيب .. »

وحمل المجلة وسار فى طريقه الى بيت سكوبى ، وكان قبل ذلك بنصف ساعة قد رآه من بعيد يغادر البيت فى سيارته . ودخل غرفة الجلوس بعد أن فتح له الخادم الباب ، وراح ، بأنفاس لاهثة يستعيد فى ذهنه ماسوف يقوله للويز حين تهبط لاستقباله .
سيقول لها بعد أن يقبل شفيتها ببساطة :

« لقد افتقدتك كثيرا ، وكانت الحياة هنا بدونك لا معنى لها » ..

واخذ قلبه يدق فى صدره كالطرقة حين سمع صوتها تقول
وهى مقبلة عليه :

- أخيرا جئت يا ويلسون .
ومدت يدها - فقط - لتصافحه ، ولم يسعه الا أن يصافحها
وكانت تصافح هزيمته الاولى !
وقالت له :

- اتشرب كاسا ؟

- الا نتمشى قليلا في التلال ؟!

- ان الجو شديد الحرارة الان يا ويلسون ..

- اننى لم اذهب الى هناك .. منذ ..

- الى اين ؟!

وادرك ويلسون ان الوقت لايقف ابدا امام الذين لايجبون ..
وغص بريقه وقال :

- الى .. الى غرفة ناظر المحطة المهجورة !

فقال في غير اهتمام :

- اوه .. نعم .. نعم .. اننى ايضا لم اذهب الى هناك مرة

أخرى ..

- في تلك الليلة ، بعد ان عدت الى قمرتى .. حاولت ان انظم

شعرا ..

- ماذا ؟ انت يا ويلسون ؟!

واضطرم وجهه بحمرة قانية وقال :

- نعم .. انا .. ويلسون ؟ .. لماذا لا ؟ .. وقد نشرت انشاء ..

- اننى لم اقصد السخرية يا ويلسون ، وانما دهشت فقط

.. في اية مجلة ؟

- في مجلة جديدة اسمها «سيركل» .. هاهى ..

وقدم لها المجلة مفتوحة على القصيدة ، وراح يرقبها - بانفاس

مكتومة - وهى تقراها .. وقالت هى في النهاية بصوت عادى ..

- قصيدة جميلة ..

- هل عرفت الى من اهديتها ؟!

- هذه اول مرة يهدينى فيها شاعر احدى قصائده ..

واحس ويلسون بالاعباء يتمشى في جسمه ، وتهالك جالسا وهو

يحاول ان يتمالك نفسه : وقال لنفسه : لماذا ينطوى الحب على

الاذلال ؟ ولماذا عرف الناس الحب !! لماذا لايسمونه باسمه الطبيعى ،

وهو الشهوة .. شهوة الرجل نحو المرأة ، والعكس صحيح !

وقال لها فجأة بحرارة :

- اتنى احبك بالوزير ..
 وتوقع ان يسممها تضحك عاليا ، ولكنها قالت بهدوء :
 - لا .. لا ياويلسون .. انك لاتجبنى حقا ، وانما هى حرارة
 الجو فى هذه المنطقة .
 واستطرد يقول كأنما لم يسمع شيئا :
 - أكثر من أى شىء آخر فى الدنيا .
 فقالت برفق :
 - لا أحد فى الدنيا يحب هكذا .
 وراح يذرع الغرفة جيئة وذهابا فى اضطراب نفسى شديد ؟
 وقال :
 - كان ينبغى ان تؤمنى بالحب ، انك كاثوليكية . اليس الله هو
 الحب ؟ الا يحب الله العالم كله .
 فقالت :
 - نعم طبعا .. ان الله قادر على هذا .. ولكن ليس المخلوق !
 - انك تحبين زوجك .. هكذا قلت لى .. وهذا ما جعلك
 تعودين بسرعة .
 فقالت بحزن :
 - اعتقد هذا . ولا حيلة لى فيه . ولكنه ليس الحب الذى
 تعتقد أنك تشعر به . ليس فيه كأس مسمومة ، ولا عذاب أبدي .
 أننا لانموت فى سبيل الحب ياويلسون ، الا فى الروايات او المسرحيات
 . فلا داعى لهذا اللون من الحب ، لانه لايتفق مع سننى .
 فقال بحدة :
 - ان حبنى ليس خياليا كالروايات ، ولا تمثيلا للمسرحيات
 ثم وقف امام خزانة كتبها وقال مردفا :
 - هل كل ماكتب هنا من الخيال فقط ؟
 - لا اظن .. وهذا ما يجعلنى احبك أكثر من قصيدتك .
 وقال وقد اشرق وجهه بفكرة مأكرة :
 - المهم انك عدت بسرعة .. فهل أعادك الحب أم .. الفيرة ؟
 - الفيرة ؟! أية غيرة تعنى ؟
 - من صاحبك تيكى وهيلين رولت .

وهنا وجهت اليه بقوة صغرة أخطأت بها خده وأصابته
الذى بدا في الحال ينزف دما . وقالت :

— هذا من أجل قولك عنه « تيكى » . لا أحد يقول له هذا
غيرى . انه يكره هذا الاسم .. وانت تعرف هذا . خذ منديل اذا
لم يكن معك منديل .

— ان انفى ينزف بسرعة .. أسمحين لى بالاستلقاء على
ظهري ؟

ورقد بين المنضدة وخزانة الطعام — حيث النمل المتكاثر حولها
— وقال لنفسه :

«أولا سكوبى حين رأى دموى فى الفندق .. ثم هذا ثانيا »
وقالت له لويز :

— الا تريد ان اضع لك مفتاحا فى ظهرك لوقف النزيف !

— لا لا .. شكرا ..

ولوثت دماء انفه سطور قصيدة الحب بعد ان سالت على صفحة
المجلة ..

وقالت هى :

— اننى آسفة حقا ! الواقع اننى حادة المزاج . ولعل هذا
يشفيك من الحب يا ويلسون .

ولكن .. اذا كان الحب شيئا لاغنى عنه لحياة الانسان ..
فكيف يشفى منه ! وحتى الذى لا يجب الحب ، فعليه ان يتظاهرو
به كيلا يكون مثل الملحد الذى يعيش — بسبب حرمانه من الايمان
بشيء — فى عالم هائل من الفراغ . ومن ثم قال بعناء :

— لاشئ يمكن ان يشفينى من حبك يا لويز .. اننى احبك — ولا
يمكن —

وراح يضع المنديل على انفه ليوقف النزيف . وقالت هى :

— ما أعجب هذا لو كان صدقا؟! —

ولما غمغم بتساؤل غامض من وراء المنديل .. .

أردفت هي قائلة:

— اعنى لو كنت تحبني حقا ! كنت أظن أن هنرى هو المحب
الحقيقى .. . ولسوف يكون عجيب جدا لو ظهر لى أن المحب
الحقيقى هو أنت .

وقال لها وهو يرفع المنديل:

— اعتقد أن هنرى يحب على طريقته الخاصة .

— من ؟! أنا أم هيلين التى تحدثت عنها ، أم نفسه !

— ما كان ينبغي أن أقول لك شيئا عن ذلك .

— لكن صادقين يا ويلسون ! أنك لاتعلم مدى شعورى بالملل من
كثرة الكذب الذى يواجهه الانسان فى حياته .. . هل هى جميلة !

— نعم .

— وشابة أيضا ، بينما أنا فى منتصف العمر .

— ولكنها ليست كاثوليكية .

— هذا من حسن حظها .. . أنها بلا قيود .. . أنها متحررة
يا ويلسون .

وجلس ويلسون واسند ظهره الى احدى قوائم المنضدة وقال:

— أتمنى على الله ألا تنادبنى باسم ويلسون ؟

— هل تحب أن أناديك باسم ادوارد .. . ايدى .. . او تيدى ؟!

فقال وهو يرقد على ظهره مرة أخرى:

— لقد عاد النزيف مرة أخرى .

— ماذا تعرف عن الموضوع الذى ذكرته الآن ياتيدى .

— أفضل! أن تسميني باسم أدوارد بالوين . لقد رأيت به يخرج
ثلاث ليلة من كوخها في الثانية بعد منتصف الليل . وكان معها أمي
بعد الظهر .

— بل كان يعترف في الكنيسة .

— لقد رآه هاريس بنفسه .

— هل حقا تضعه تحت مزاجتك ؟

— أن يوسف يسيطر عليه لسبب ما .

— هذا مستحيل . . يبدو أنك تماديت في ظنونك .

وكانت واقفة أمامه وكأنه جثة ملقاة على الأرض . ولم يسمعا
صرير الباب عندما دخل سكوبي . وهكذا فوجيء كل منهما بسماع
صوته وهو يقول :

— ما هذا . . ماذا حدث ؟!

وقالت لويز مرتبكة :

— لقد . . لقد أصيب أنفه .

ونفض ويلسون متعثرا وهو يقول :

— أن أنفي سريع النزيف في هذا الجو الحار . . أرجو المصدرة
. . يجب أن أنصرف الآن بسرعة . . . سأعود للزيارة مرة أخرى .

ثم انطلق خارجا في طريقه الى كوخه . وهناك تبين أن ذيل
قميصه كان خارجا من البنطلون وراء ظهره . . ومن ثم راح يتخيل
وهو ممتلىء بالفيظ والمرارة ، كيف كان منظره يبدو وهما يرقبان
إنصرافه !

وقال سكوبي للوين :

— ماذا كان يريد ؟!

- كان يطارحنى الحب !
- وهل يحبك حقا ؟
- يعتقد هذا ! اليس لديك ما تسأل عنه غير هذا فقط ؟
- يبدو أنك ضربتيه بعنف على أنفه !
- لقد أغضبني حين قال عنك « تيكى » .. انه يتجسس عليك يا حبيبي .
- أعرف هذا .
- انه قد يكون خطرا عليك .
- ربما .. فى بعض الظروف .. وعندئذ اكون انا المسئول عما يحدث لى .
- هنرك ! الا يستبد بك الغضب لسبب ما ؟ الا بغضبك ان تعلم انه اراد ان يطارحنى الغرام ؟
- اكون كاذبا لو قلت ان هذا يفضبنى . لان هذه طبيعته البشرى . وكل انسان رفيق القلق لابد له ان يحب .
- وهل عرفت الحب يوما يا هنرى ؟
- فقال وهو يراقبها بحدس :
- اوه .. طبعاً .. طبعاً .
- هنرى .. هل حقا كنت تشعر بمفصر مفاجيء هذا الصباح ؟ !
- طبعاً .. طبعاً .
- ألم تحاول أن تتخلص من الذهاب الى الكنيسة باصطناع المرض ! ..
- لا ..
- اذن هلم يا حبيبي نذهب للطهارة غدا صباحا ..

ولم يسهه الا ان يستسلم للأمر الواقع ويقول متظاهرا بان
المسألة لاتهمه كثيرا :

— اذا شئت .. مارايك في كأس الآن .

— لا .. لايزال الوقت مبكرا على الشرب ياعزيزى .

وكان يعلم في قرارة نفسه انها تراقبه بامعان وحذر . ومن ثم
راى ان يهرب منها في تلك اللحظة قبل ان تساله هل اعترف بعدد
ظهر اليوم السابق أم لا . وقال وهو يضع الكأس من يده على
المنضدة :

— لقد نسيت شيئا في مكتبى ياعزيزتى .. لسوف اذهب واقوم
به ، تم اعود فى خلال ساعة .. طاب مساؤك الآن .

« الفصل الحادى عشر »

« القرار الأخير .. »

ولم يذهب سكوبى الى مكتبه بمبنى المحافظة ، وانما انطلق
بسيارته فى الطريق الى الكنيسة ، وكال يقول لنفسه :

— اوه .. ياالهى .. ان الانسان يضطر أحيانا الى اتخاذ
قرارات حاسمة قبل ان يجد الوقت المتسع للتفكير . والتفكير فى
خروج من ماذق كهذا يحتاج الى عقلية حساسية وحلول مكتوبة
تماما كالعالم الرياضى الذى يريد ان يصل الى نتيجة معينة بعمليات
حسابية معقدة . ولكننا معشر الكاثوليكين محكوم علينا بالعذاب
الابدئى ،لأننا نعرف حقيقة موقفنا من الخير والشر .. ومع ذلك
لايسعنا الا ان نركع امام القسيس للاعتراف ونقول « منذ اعترافى
السابق ارتكبت خطيئة الخنا كذا وكذا من الموت .. » ونسمع
القسيس يقول لنا :

« عليك ان تتوب والا ترى تلك المرأة التى ترتكب معها هذه
الخطيئة .. »

أى لا أرى هيلين .. لا أبقي معها داخل الكوخ باجستر
يعمرى بالهفة الجنسية خارج الباب .. وأوافق القسيس ، وأصده
بالأ أراها مرة أخرى ، وأنا واثق تماما بأنى صادق فى هذا الوعد ..
وأذهب غدا الى الكنيسة ، وأتناول الخبز المقدس فى قمى من يسة
القسيس ، فيما يسمونه ، المناولة والطهارة الابدية ، وبهذا اتخلى
نهائيا عن هيلين لكى تلقى بجسمها بين ذراعى باجستر ، أو أى شخص
آخر .. أى بين ذراعى اليأس . وعلى أن اكون منطقيا مع نفسى ؟
وأقول أن اليأس لا يدوم ؟ فهل هذا صحيح ؟ « كما لا يدوم الحب ؟
» فهل هذا صحيح أيضا ؟ « وانها بعد بضعة أسابيع أو شهور .. »
مستعود الى حالتها الطبيعية .. الى الحياة من جديد ! لقد
استطاعت أن تعود الى الحياة بعد عشرين يوما من اليأس فى زورقا
صغير .. بعد أن فقدت زوجها فى شهر العسل .. فهل تعجز عن
العودة الى الحياة بعد أن يموت الحب !

وتوقف بسيارته امام باب الكنيسة ، وجلس فى مكانه امام عجلة
القيادة ، واستأنف التفكير والحديث مع نفسه .

« ان الموت لا يأتى أبدا عندما يتمناه الانسان ! ولكن ، هل سيحل
الموت المشكلة ؟ وإذا لم يحلها ، فماذا افعل ؟ هل أترك لويز ، وأنسى
القسم الذى اقسمته فى الكنيسة يوم زواجها بأن أرحاها والا افترقا
هنا الا بالموت ؟ هل استقيل من عملى وأرحل مع هيلين الى أى مكان
فى الدنيا الواسعة ؟ أم اتخلى عن هيلين لتلقى بنفسها بين ذراعى
باجستر أو اليأس ! .. اننى فى مصيدة لا تخرج منها » .

وغادر السيارة ، ودخل الكنيسة ، وركع بجوار المذبح يبتهل
ويشما يفرغ الأب رائك من تلقى اعترافات السيدة التى امامه ، وأخذا
يطلب من الله أن ينقذه من حيرة قلبه بمعجزة .. أن يضع حدا لهذه
القلوب الثلاثة الحائرة .. قلبه وقلب لويز .. وقلب هيلين .. ربما
قلوب ويلسون أيضا .. فلا شك أنه حائر أيضا اذا كان صادق الحبيب
للويز . ولماذا لا .. ؟ أنه يصفرها بنحو ثمانية اعوام ؟ فهل يستبعد
أن يحبها وقد أحبته هو من تصفره بثلاثين عاما ! واختتم ابتهالاته
قائلا :

يا الهى .. اتقلى بمعجزة ولو قضيت فى هذا السبيل بلى
كما فعل المسيح ! .. عاقبنى بالموت اذا كان لابد من العقاب ، ولكن
امنح الآخرين شيئاً من السعادة »

ودخل مقصورة الاعتراف وهو يقول لنفسه !

« من يدري .. فقد تحدث المعجزة ! »

وركع امام الاب وبدا يقول :

« منذ اعترافى السابق ارتكبت الخنا .. »

— بكم مرة !

— لا ادرى يا ابى .. مرات عديدة .. »

— هل انت متزوج !

— نعم .. »

وتمنى ان يقول له : « سامعنى يا ابى .. اقنعنى بانى ساكون
على صواب اذا تخليت عنها لباجستر او للياس .. دعنى اومن برحمة
الله ! »

ولكنه ظل راکما ينتظر الاب راتك وهو يقول له :

— هل هى امرأة واحدة التى ارتكبت معها هذه الخطيئة !

— نعم .. »

— اذن يجب ان تمتنع عن رؤيتها ، فهل هذا ممكن ؟

— لا .. »

— اذا كان لامفر من ان تراها ، فليكن ذلك على غير افراد .. »
عانى بهذا .. او على الاصح ، عد الهك !

وقال سكوبى لنفسه :

« اما احققنى اذ كنت انتظر المعجزة على يدى هذا الاب ! انه يكره »

العبارات التى يقولها لكلّ معترف كالبيغاء ! اليس هذا ما يحدث كل يوم ؟ .. الا يخرج المعترف من مقصورة الاعتراف ليرتكب نفس الخطايا التى جاء ليتطهر منها ؟ فهل كل معترف يؤمن حقا بأنه صادق التوبة ! الا يخدع نفسه وربه بمثل هذه الاعترافات البيغائية ؟ ان فى مقدورى ان اكون كائى انسان آخر واخدع هذا الاب ، واخدع الرب واقول اننى لن اراها على انفراد ، وفى نيتى ان اراها على انفراد وأن أستمر فى ممارسة الحب معها .. ولكن لا .. هذا مالا أستطيع ان أفعله مهما يكن الثمن »

وقال بصوت مسموع :

— اننى لا أستطيع ان اعد بهذا بابى .

— يجب ان تعد .. انك لاتستطيع ان ترغب فى النتيجة دون ان ترغب فى الوسيلة .

وقال سكوبى لنفسه :

« ولكن الانسان يستطيع .. يستطيع ان يرغب فى النصر دون ان يرغب فى الوسيلة اليه .. أى فى تدمير المدن وقتل الناس ؟

وعاد الاب رانك يقول :

— لاجابة بى لان اقول لك ان الاعتراف ليس مجرد عملية آلية . ان حصولك على المغفرة يتوقف على مدى استعدادك للتوبة .. ولا جدوى من حضورك وركوعك امامى قبل ان يتوافر لديك هذا الاستعداد . عليك قبل ان تأتى ، ان تكون مقتنعا بانك ارتكبت خطأ يجب الا تعود اليه .

— اننى أعرف هذا .

— عليك ان تعرف الهدف الحقيقى من الاعتراف . واذا كان المطلوب من الانسان ان يغفر لاخيه الانسان سبعة وسبعين مرة ، فهل يعجز الله عن ان يغفر للانسان اضعاف اضعاف هذه المرات ؟ ولكن المغفرة لاتكون للمعاندين المصرين على الخطأ . وانه لافضل

ان يخطيء الانسان سبعين مرة ويطلب المغفرة سبعين مرة ، على ان يخطيء مرة واحدة دون ان يندم عليها !

وقال سكوبي لنفسه :

« ما اغباني ؟ ان الاب على حق في هذا كله ! فماذا كنت انتظر
ههنا هذا ؟ اية معجزة يمكن ان تمنح المغفرة للمصر على الذنب ؟ »

وبصوت مسموع قال :

— اعتقد يا ابى انى اخطات في حضورى اليك .

— اننى لا اريد ان احرمك حقك في الحصول على مغفرة الله .
ولكنى ارى ان تنصرف الآن وتفكر في الامر . . . وعندما تجد في نفسك
الاستعداد للتوبة ، فتعال .

— حسنا يا ابى .

— لسوف اصرى من اجلك .

ولما عاد الى بيته ، قالت له لويوز :

— لقد طال غيبتك .

ووجد نفسه مضطرا الى الكذب ، فقال :

— لقد عاودنى الالم في المكتيب ، فانتظرت حتى يزول .

— اتريد ان تشرب كاسا .

— نعم ، حتى يامرني الطبيب بان الشراب يضرني .

— هل ستعرض نفسك على الطبيب .

— طبعا . . طبعا .

وحلم في تلك الليلة انه راكب زورقا يجرى به في نهر تحت
الارض ، وانه الشخص الوحيد الذى بقى حيا بين عدد من الركاب
الموتى في الزورق ؟ ولكن تماءه كانت تنزف من مكان ما في جسمه .

وأخيراً رفع يده ليعرف هل هو ميت أم حي ؟ وعندئذ استيقظ
ليجد لويز ترفع يده وتقول :

لقد حان موعد ذهابنا الى الكنيسة للمناولة وتناول الخبز
الالهى .

— أحقا ؟

نعم أغمض عيني حتى لا اقرأ لويز أفكاره .. وقال لنفسه :
ما جدوى ارجاء الذهاب الى الكنيسة يوما بعد يوم ؟ اننى لن
أستطيع أن أصطنع المرض فى كل صباح ، والا أدركت اننى أخشى
الظلمة .. وهذا يعنى اننى قد خنتها خيانة تجعل حياتى الزوجية
معهما باطلة بعد ذلك .

ونفض فجأة وقال :

— نعم .. نعم .. يجب أن نسرع بالذهاب .

وقالت له :

— اذا كنت تشعر بالتعب يا عزيزى ، فابق حيث انت .. اننى
أريد أن أرغمك على الذهاب .

وأدرك انها تريد أن توقع به فى المصيدة ! ومن ثم قال :

— لا .. لا .. لا .. لسوف أذهب معك .. اننى بخير .

وشعر وهو يدخل معها الكنيسة كأنه غريب يدخل مكانا لأول
مرة فى حياته ، وخيل اليه أن هناك فوارق هائلة تقوم بينه وبين
أولئك الراكعين المنتظرين أن ينالوا المغفرة بسلام .

وكانت كلمات القداس ترن فى أذنيه كأنها حكم مع وقف التنفيذ
« سوف أدخل محراب الله الذى يهب السعادة لشبابى » ولكن ..
أين هى السعادة ؟ ونظر من خلال أصابعه الى صور القسوس
والقسيسين ، فخيل اليه أنهم يمدون أيديهم بالرحمة الى الجميع
إلا هو .. انه كالضعيف المجهول فى حفلة ، لا يعرفه أحد ، ولا يقدمه

أحد الى أحد . وبدأ يبتهل « رحماك يارب » ولكن الخوف مما سوف يرتكبه بعد قليل عصر قلبه وأثار برودة الثلج فيه وشل تفكيره . انه أسوأ من أولئك الكهنة الذين يمارسون القداس الاسود على جسد عار لامرأة وبين كؤوس من الشراب النارى .. انهم على الأقل يمارسون طقوسا يؤمنون بها ، وبعواطف لانصرف الحب للبشر .. انهم صادقون مع انفسهم فى كراهيتهم للسماء ولهذا فهم افضل منه ، لانه يأتى الى الطهارة والمناولة المقدسة للاندم ؟ وبلا رغبة فى التوبة او التراجع عن الخطيئة .. انه يفعل هذا كله من اجل امرأة يحبها .. ولكن هل هو الحب فقط ، ام انه العطف والاشفاق والشعور بالمسئولية نحو مخلوقة ضعيفة ليس لها أحد غيره ! وحاول مرة أخرى ان يلتمس الاعذار لنفسه .

« ان الله فى غير حاجة الى توبتى .. انه اعظم واجل شأننا من ان يغضب على لانى أضحى بكل شيء فى سبيل امرأة تعلقت بى ووضعت نفسها بين يدى »

وجاء دوره أخيراً .. وقدم اليه الاب قطعة الخبز المقدس .. وسرد على مسامعه العبارات التقليدية للطهارة .

« ... لنجعل إيماننا سلاما حتى نحفظ انفسنا من العذاب الأبدي » وشعر سكوبى كان كلمة « سلاما » ترن فى اذنيه كالطبل .. وقال لنفسه « لن أعرف بعد ماهو السلام .. لقد ارتكبت الخطيئة التى لاغفران لها ... وهكذا سلمت نفسى للعذاب الأبدي »

* * *

وشعر سكوبى بالآلم العنيف فى الجانب الأيسر من صدره وكأنه قبضة حديدية تعصر الأنفاس وتحاول ان تخنقه . ونظرت لويز اليه فى جزع وهما خارجان من الكنيسة وقالت :

- ماذا بك يا عزيزى ؟

وكنتم الأمر وقال محاولاً ان يبدو طبيعياً :

- أرى ان اذهب الى الدكتور « ترافيز » لعرض نفسى عليه ..

هل تأتين معى ؟

— لا .. سامضى انا الى البيت لان المسز كارتر ستزورنى بعد نصف ساعة .

وقال له الدكتور ترافيز بعد ان فحصه بعناية :

— انك فى حاجة الى الراحة والبعد عن الانفعالات النفسية ياميجور سكوبى .

وقال له سكوبى وهو يرتدى ملابسه :

— هل الامر خطير !!

— لا .. ليس الى حد كبير .. ولكنه سيكون خطيرا اذا اجهدت نفسك ..

— اهو القلب ؟

— تصلب فى الشرايين .

— ولم يشأ الطبيب ان يزجه بعبارة « مبادئ ذبحة صدرية » واكتفى بهذا التلميح البسيط .

وقال سكوبى وقد مضى فى ذهنه القرار الذى كان يبحث عنه :

— اننى اعانى من الارق يادكتور ترافيز .. فهل يمكن الاستعانة بالأقراص المنومة ؟ .

— لا بأس .. ساكتب لك اقراص اللومينال ، ولا بأس من قرص واحد قبل النوم .

ولم يجد لويز فى البيت عندما عاد .. واخبره تابعه على أنها ذهبت مع المسز كارتر الى البلاج ، وكتب رسالة قصيرة لها :

« ساحمل بعض الاثاثات الخفيفة الى هيلين رولت .. ولن اتأخر فى العودة »

ثم حمل في سيارته منضدة ومقعدين ، ومضى الى كوخ هيلين ،
وقال لها بعد أن تبادل معها التحية :

— لقد جئت اليك بمنضدة ومقعدين .. هل خادمك هنا ؟
— لا .. انه في السوق .

وتبادلا قبلة عابرة وكانهما أخ وأخت .. أو كأنما لهيب الحب
قد هدا ..

وقالت له :

— سمعت أنك ستعين حكمدارا في النهاية .. فهل هلا
صحيح ؟

فهز كتفيه وقال :

— هكذا قيل لى .. قيل أن الحكمدار المرشح للمنصب
سيذهب الى الشرق الاوسط في مهمة سرية ، وهكذا لا يبقى امامهم
أحد غيرى ..

— لاشك أن هذا سيسر زوجتك !

— ولكن هذا لايعنى شيئا في نظري ..

فقال بحرارة :

— بل يعنى الكثير .. ان على الحكمدار ان يكون فوق الشبهات
مثل زوجة قيصر ، وهذا يعنى نهاية علاقتنا .

— أنت تعلمين ان علاقتنا لن تكون لها نهاية .

— ولكن لايجوز طبعاً ان تكون للحكمدار عشيقة مخفية في
كوخ !.

وغص سكوبي بريقه وقد أدرك انه سيتعرض لتهكمها مرة أخرى
ولكنه تمالك نفسه وقال :

— اذا كان المنصب سيحرمنى منك ، فلن أقبله ..

قالت بصوت فيه نبرة الخداع:

— لا تكن احمق .. ما جدوى الاستمرار في هذه العلاقة .. ما فائدتها لك ؟

— أكثر مما تظنين .

وتعجبت لاجابته ؟ اهي كذبة أخرى ؟ ألم يعد لهذه الأكاذيب الصغيرة نهاية في هذه الأيام !

— ساعة او ساعتين في اليوم عندما تستطيع ان تتسلل الى في غرفة من الجميع ؟ انك لن تستطيع ان تقضى معي ليلة كاملة بعد اليوم .. اليس كذلك ؟

فقال في يأس :

— لقد وضعت خطة ..

— ماهي ؟!

— سأخبرك بها حين تبين معالمها ..

— ولماذا لاتخبرني الآن لكي اتفق معك بشأنها !

— اوه .. ارجوك يا حبيبتي .. لاداعي للخصومة .. اننى ليهأت لهذا اليوم !

— اننى احيانا أتساءل .. لماذا تأتى ؟

— لقد جئت لاحضر اليك بعض الاثاث الخفيفة ..

— اوه نسيت .

— ان سيارتى معي .. ما رايك في نزهة الى البلاج ؟

— ألا تخشى ان يرانا احد ؟

— وماذا لو راونا ؟ ان لويز هناك كما اعتقد ..

فقالت بحدة :

ارجوك الا تذكر اسم هذه المرأة امامى ؟ ولا تنسب الى لا اطيع
قوتها ..

« تحسنا .. لنذهب في رحلة قصيرة الى التلال »

— ان هذا ادعى الى الشعور بالامن .. اليس كذلك ؟
فأمسك بكتفها وقال محتدا :

— قلت لك كثيرا اننى لا أخشى على نفسى من شيء ..

— كنت اظن هذا ..

— وعاد يقول محتدا :

— ان التضحية ليست كلها من جانبك ..

فقالت في تهكم الصبيان :

— انك تضحى طبعاً بأوقات من عملك كلما جئت لتقضى معى
ساعة او نصف ساعة ..

— لقد فقدت كل امل ..

— ماذا تعنى ..

— فقدت كل امل في رحمة الله .. وحكمت على نفسى بالعذاب

الابدى ..

— ارجوك .. لادامى لهذا الموقف الخطابى .. ان الشيء الوحيد
الذى اكرهه فيك هو كاثوليكيته ! ويبدو انك اكتسبتها من زوجتك
الورعة التقية ! اذا كنت تؤمن حقاً بالثواب والعقاب ، ما كنت هنا
الآن ..

فقال في حيرة :

— اننى اومن ، ومع ذلك فانا هنا .. وكسنت أجد تعليلاً لهذا ..

ان عينى مفتوحتان ومع ذلك فقد اخذت من الاب رانك الخبز
المقدس رغم ادراكى بشاعة الخطيئة الابدية التى ارتكبتها ..

فقالت هيلين في ازدياء :

لقد قلت لى هذا من قبل ، فلا تحاول ان تؤثر فى .. اننى كما
تعلم ، لست كاثوليكية ..

فامسك بمعصمها وقال بانفعال شديداً :

- لا تحاولي ان تستهيني بالامر . اقول لك مرة اخرى ، اننى جلبت على نفسى العذاب الابدى ، الا اذا نجوت منه بمعجزة . اننى أعرف تماماً ما فعلت . وان ما فعلته اشد فظاعة من ارتكاب جريمة القتل العمد .. اننى الآن احمل خطيئتي الابدية على كتفى .. لا خلاص لى منها .

ثم القى بمعصمها وأردف قائلاً :

- كل هذا لانى احبك .

- تقصد لانك تحب زوجتك .. فقد فعلت هذا لارضائها هى .

وانحسر الغضب من نفسه وقال :

- الحب لكما معا .. فلو كان الامر مفتصر عليها ، لما حدث هذا كله .

وأخفى وجهه بيديه وقال وهو يشعر بالانفعال يستبد به :

- اننى لا أستطيع ان احتمل رؤية احد يتعذب . ومع ذلك فانى انشر العذاب حولي .. لابد لى من الخلاص .. لابد لى من الهرب ،
الى اين ؟!

وتنبه الى نفسه فجأة ، وقال بمكر :

- سأطلب اجازة . اننى اعانى من الارق ، كما بدأت اشعر بالام غامضة فى الجانب الايسر من صدري :

وعندئذ ألقت بنفسها بين ذراعيه ، وقالت فى لهفة :

- لا يا حبيبى .. يجب ان تعرض نفسك على الدكتور ترافيز :

- هذا ما فعلت :

- وماذا قال ؟

- لاشئ خطير .. ما رايك الآن فى نزهة خلوية بالسيارة ؟

— هلم يا حبيبي .. لقد قسوت عليك أكثر مما ينبغي ..
وبعد أن أمضيا ثلاث ساعات في نزهة غرامية ، عاد بها إلى
أخوها ، وقال وهو يودعها :

— إلى اللقاء غدا يا حبيبتي ..
— يمكنني أن أتخلى عنك غدا إذا كان هذا بعض الراحة لك ..
فهز رأسه وقال :

— إن راحتي أن أكون بجانبك دائما .. أتذكرين خطابي الذي
أكتبته لك ، وضاع ثم استرددته من يوسف ؟ .. لقد حاولت أن أخبر
عن حبي بوضوح تام حتى لاتتهميني بالخوف أو بالحذر .. قلت لك
إقيه أنتي أحبك أكثر من زوجتي .. أكثر من أي شيء في الدنيا ..
ولم تجيب عليه .. وإنما طوقته بذراعيها ، وغابت معه في قبلة
طويلة ..

ولما وضع السيارة في الجراج ، قرر أن يتمشى قليلا في جولة
تفتيشية قصيرة يعود بعدها إلى البيت .. وما كاد أن يهبط سفح
التل حتى وجد نفسه وجها لوجه مع ويلسون الذي بدأ وجهه
في ضوء المشعل الكهربائي كالخارطة الجغرافية الصغيرة ..

— وقال له سكوبي مدهشا :

— عجبا ! لماذا أنت في الخارج إلى هذه الساعة المتأخرة يا
ويلسون .. !

— هذه رغبتى ..

وقال سكوبي لنفسه .. « لشد ما يحقد على هذا المسكين ! »

وبصوت مسموع هادئ قال :

— حسنا .. أبتعد عن أطراف حبي ، كرو .. ان فيه قطاع الطرق
الذين يتسللون من القابات ليرتكبوا جرائمهم ثم يختفون ..

ولما لم يجب ويلسون ؟ ولم يتحرك من مكانه لى يمضى سكوبى
فى طريقه ، قال هذا :

كيف حال أنفك ؟ هل انقطع النزيف ؟

- نعم .

- حسنا .. طابت ليلتك الآن .. وارجو ان تزورنا قريبا ؟

لويز ..

- اثنى احبها ياسكوبى .

- اعتقد هذا ياويلسون .. واعتقد انها تميل اليك من جانبها ..

فقال ويلسون باصرار :

- اثنى احبها . ويبدو انك لاتعرف معنى هذا ..

- مامعناه ؟!

- انك لاتعرف معنى الحب .. انك لاتحب الا نفسك ..

نفسك القذرة .

- انك مرهق الاعصاب ياويلسون . ويبدو ان الجو هنا لم يعد

يلائمك ، يحسن ان تذهب وتستريح ..

ولكن ويلسون ، استمر يقول بلهجة التلميذ العنيد :

- لو انك تحبها ، لما ارتكبت هذه التصرفات المشينة فى حقها ..

ولم يفقد سكوبى السيطرة على اعصابه وقال :

- ان الحب ليس بالبساطة التى تتصورها ياويلسون . انه

شيء آخر يختلف عن الشعر الذى تقرأه .

- ماذا تفعل لو اثنى اخبرتها بكل شيء .. بعلاقتك مع هيلين

يقول ؟

- ولكنك اخبرتها ياويلسون . فماذا حدث ؟ انها صدقتنى انا

- لسوف اقضى على مستقبلك فى يوم ياسكوبى ..

فابتسم سكوبى برفق وقال :

- وهل تسعد لويز بهذا ؟

فهمت ويلسون قائلا بصوت متهدج بالانفعال الشديد ؟

- ان فى مقدورى ان اسعدا بطريقتى الخاصة .. بحبى

العميق ، باخلاصى وانفاق مزاجى الشاعرى مع مزاجها . ولكن
 هذا ان يتم الا اذا كشفت امرك وقضيت عليك . .
 وقال سكوبى دون ان يفقد زمام اعصابه :
 - انك ستحاول . . اعرف هذا !
 ولم يدر ماذا يقول بعد ذلك . . ولكنه تميم قائلا :
 - كل ما ارجوه منك ان تكف عن التجسس على .
 - هذه مهمتى ياسكوبى .

- حسنا . . استطيع ان اخبرك ان جميع تقاريرك تلقى فى سلة
 المهملات . . ثم تركه واقفا ، متسمرًا فى مكانه ، وسار فى جولته
 التفيتشية القصيرة .

حين عاد الى البيت ، وجد لويى فى غرفة النوم العليا ، ومن ثم
 جلس فى غرفة الجلوس السفلى ، وفتح مفكرته ، وراح يكتب يومياته
 بإيجاز ، وبعبارات قصيرة ، كالبرقيات . ولم ينس ان يسجل
 شعوره بالارق ، وبالألم المفاجيء الذى أحس به ، وبأقوال الطبيب
 من حالته .

وجلس بعد ذلك يفكر . . انه يشعر بالوحدة الكاملة . . انه لا
 يستطيع ان يخبر أحدا بقراره الأخير . . وان الذين سيشاهدون
 نتيجة هذا القرار سيدهشون ، سيهزون وعوسهم فى عجب . .
 وسيستريح الجميع - سيستريح باجستر الذى يحسده على هيلين
 . . وسيستريح ويلسون الذى يحسده على لويى . . وستستريح
 هيلين لأنها ستواجه أمرا لاحيلة لها فيه . . ولويى ! لاشك أنها
 ستكون أكثر الجميع راحة ، لأنها سترى فى كل ما حدث قضاء الله
 وقدره !.

وافاق من افكاره على صوت لويى وهى تنادى عليه من فراشها :
 - هنرى !

- نعم يا حبيبتى !

- هل انتصف الليل ؟

- اعتقد انه قارب الانتصاف .

- حسنا . . لاشرب خمرًا بعد انتصاف الليل . تذكر القدماء

وجرع كأسه دفعة واحدة وهو يتذكر .. ان الفد هو الأول من شهر نوفمبر .. عيد القديسين .. ولا بد له ان يمتنع عن الشراب قبل ان يبدأ اليوم .. وسيذهب الى القداس غدا .. ومستوالى الأعياد الدينية ، والقداسات ، والوان الحرمان .. ومستوالى من هنا الضربات التى تضاعف احساسه بالخطيئة الأبدية .. وقال مجيبا عليها :

- نعم .. نعم .. اننى آت اليك .
- ولما وصل اليها ، قالت له بصوت ينم عن الرضا ؟
- علمت بأن منصب الحكمدارية سيكون من نصيبك ياتيكي
- « .. اننى سعيدة جدا .. وسوف تحلو الحياة من الآن .. الى .. »
- آخر العمر .. اليس كذلك ؟
- بل حتى تنفيذ القرار الاخير ..
- ماذا تقول ياتيكي ؟
- لاشئ ..

« الفصل الثانى عشر »

« الراحة للجميع ! »

ما أن فرغ سكوبى من عمله اليومى بالمكتب ، حتى وكب سيارته فى الطريق الى كوخ هيلين ، وكان يقول لنفسه وهو يركز نظراته على الطريق : « لشد ما كانت حماقتى ! . كيف أتخلى عن الحياة من أجل حب .. حب كان كالكابوس المزعج ، ثم صحت منه ! »

نعم .. ان الحياة ائمن من أى شئ فى الوجود .

وكانت الشمس تصب نيرانها على كل شئ ، وتفصد العرق من جبينه ومن يديه القابضتين على عجلة القيادة ، ولكن ذهنه كان مركزا على ما سيحدث بعد قليل . انه سيفتح الباب .. وسيقول كلمات بسيطة قليلة ، ثم يغلقه نهائيا على هذه المرحلة الرهيبة من حياته ..

وكان لفرط انشغال ذهنه الا يرى هيلين الواقفة على جانبى

الطريق ، فى الشمس ؟ ولما رآها .. توقف بجوارها وقد افزعه
ما رأى على وجهها من أمارات اليأس والهزيمة والتعاسة .
وقال لها مدهوشا :

— ماذا تفعلين هنا .. فى الشمس .. وبلا قبعة ؟
— كنت انتظر مرورك ..
— تعالى هنا فى السيارة والا اصابتك ضربة شمس .
فقالته وهى تركب بجواره وقد التفتت فى عينيها نظرة
ماكرة :

— ابهذه البساطة يموت الانسان !
وجلسا جنبا الى جنب .. ورأى سكوبى ان فى مقدوره ان
يودعها فى تلك اللحظات بدلا من الذهاب معها الى الكوخ .
ولم يكن يدرى انها هى التى وقفت تنتظره لتودعه نهائيا .
ومن ثم كانت دهشته بالغة حين فاجأته بقولها :
— اعتقد ان النهاية قد جاءت اخيرا يا حبيبى .. اننى لم أعد
قادرة على الاستمرار فى تعذيبك بحبى ، أو فى تدمير حياتك
اخيرا .. دعنى استمر فى الحديث . اننى لم أفكر فى أن النهاية
ستأتى على هذا النحو .. ان غيرة من العشاق يحبون وينتهون
من الحب وهم سعداء . أما نحن ، فلا .. ان كل غرامنا يبدو
هباء ، ولا جدوى منه . أرجوك .. لا تتكلم .. لقد كنت أفكر فى
هذا الامر منذ اسابيع .. وقد رأيت أن الحل الوحيد هو أن
أرحل .. ولسوف أرحل .

— الى أين ؟
— قلت لك لا تتكلم ، ولا تسال .. ولا تظن أن الامر سيكون
سهلا .. اننى كنت أفضل الف مرة أن اموت على أن ابتعد عنك .
لقد ملأت حياتى .. كل شئ فى حياتى سيدكرنى بك .. وإذا
كان فى مقدور الانسان أن ينس أنه يحيا ، فسوف أستطيع أن
أنساك .. اننى لا ادرى الى أين سأذهب . ولا ادرى ماذا سيكون
أمرى بعد ذلك . ولكننى شاعره دائما أنك فى مكان ما .. وأن
أقوى مقدورى أن اطلبك بالتليفون واسمع صوتك دون أن تعرف
من المتحدث ..

وقال لنفسه « ولكننى اذا متة فسوف يسهلّ عليها ان
تواصل حياتها دون هذا العناء كله » .

واستطردت هى تقول :

« ولكننى لن اكتب اليك طبعاً .. ولن احاول الاتصال بك »
وقال لها :

« كنت فى طريقى اليك لادعك ايضا .

« ارجوك .. لا تتكلم .. الا ترى اننى طيبة معك اليوم ! »
لا داعى لان ترحل انت وتدمر مستقبلك .. سارحل انا . بل ولن
تعرف اين سارحل . وكل ما ارجوه هو ان تترفق بى الحياة
ولا تدفعنى الى قاع الهاوية ! .
« اوه .. لا .. لا .. لا ..

« ارجوك .. انتظر .. ان هذا هو الحل الوحيد لكى تعود
الى كاثوليكتك ، الى طهارتك .. الى التخلص من عبء خطيئتك
الابدية .. اليس هذا ما تريده ! »

« ان ما اريده هو الا اكون سبباً فى تعاسة احد .

« انك تريد سلام النفس يا عزيزى .. وسوف يكون لك
ما تريد .. وسيعود كل شيء الى حالته الطبيعية .

ثم وضعت يده على ركبتيها وشرعت تبكى . وتمعجب فى
نفسه لهذه الرقة والحنان اللذين ملا نفسها بهذه السرعة ! .
وعادت تقول :

« اسمع يا حبيبى .. لا تات معى الى الكوخ . لسوف يودع
اكل منا الآخر هنا . وسأهبط انا من السيارة ، وتعود انت الى
بيتك او الى مكتبك . وليس هناك ما يمنع من ان نتبادل قبلة
وداع ، لسوف نفترق حبيبين .. بلا خصام او كراهية .

وتبادلا قبلة طويلة . وشعر بقلبها يخفق على قلبه كأنه طائر
وتراقص ملذوحا . وجلسا فى صمت وباب السيارة مفتوح ..
وعلى بعد يسير ، كان باب الكوخ ! .

« اننى لا اصدق ان هذه المرة الأخيرة التى انفرد بها معك »
وهتف قائلاً بصوت متهدج !

« لا .. لا يا حبيبتي .. ان هذا لن يكون »
 وقال لنفسه « لو اننى مت ، لاستراحت هى تماما .. لان
 الانسان لا يستطيع ان يستمر فى حب انسان ميت .. انه لن
 يعيش حتى تتسأل .. ماذا تراه يفعل الآن .. هل هو يضحك
 سعيدا .. هل هو بين احضان زوجته : »
 وسمعها تقول :

« اغمض عينيك الآن .. لسوف اهبط واجرى الى الكوخ »
 « لا تفتحهما الا بعد ان تسمع الباب ينصفق .. هذه هى النهاية »
 وعاد يهتف قائلا :

« لا .. لا .. لا .. لن اتخلى عنك .. لقد وعدتك بهذا .
 « اننى انا التى اتخلى عنك ، لا انت .
 « ولكن هذا لن يجدى .. اننا متحابان ، وان الفراق لن
 يسعد احدا .. أبدا .

« وای سعادة يمكن ان امنحها لك اذا استمر الحال على هذا
 المآل .. »

فهبط من السيارة ، واخذ يدها وسان معها الى الكوخ وقال :
 « تعالى معي .. لسوف نمض الساعات الباقية معا حتى
 ونسدل الليل ، وبعد ذلك ستعرفين ما هو قرارى الأخير ! »



وعاد الى بيته قبيل منتصف الليل .. وكان يسمع وهو فى
 غرفة الجلوس غطيط زوجته لويز فى غرفة النوم العليا . ومذ
 هذه الى زجاجة الاقراص المنومة وتناولها بطريقة آلية .. لقد
 حاول ان يعيش .. ولكنه وجد ان حياته ستكون سببا فى تعاسة
 اشخاص كثيرين .. فلماذا يتشبث بها ؟ .

لحم قرصا تكفى لراحته ، وراحة الجميع ! عشرة .. عشرين
 حسنا ! انه يضعها فى كفه .. سيتناولها على بضع مرات ..
 مع كأس من الشراب .

وسقطت الزجاجة والاقراص من يده .. وصقت هو على
 الأرض بجانبها وقد أمسك جانب صدره الايسر وكأنما يحاول ان
 يبعد عنه تلك القبضة الحديدية التى خنقت انفاسه ..

« الفصل الثالث عشر »

« النهاية : »

قال ويلسون :

— لقد اردت أن اظل بعيدا عنك بقدر الامكان حتى تفيقي من
خدمة موته .. ولكنني جئت لأعرض عليك خدماتي .
فردت لويز قائلة :

— أن كل شخص هنا كان رفيقا بي .. شكرا .
— لم اكن اعلم أنه يعاني من مبادئ ذبحة صدرية .
— كيف لا تعلم وقد كنت جاسوسا عليه ؟ .
— ان مراقبتي له كانت جزءا من مهمتي هنا لأضع حدا لعمليات
تهريب الماس .
ولكنني احبك .

— ما اسهل كلمة الحب على لسانك يا ويلسون ؟
— الا تصدقيني ؟ !
— اننى لا اصدق أى انسان يتشدد بكلمة احبك .. احبك ..
احبك .. أنه فى الواقع يحب نفسه .
— كأنك لن تقبلى الزواج بي ؟ !
— من يدري ؟ . فربما أقبل فى يوم ما .. اننى لم أعرف
معنى الوحدة بعد ، ولعل احساسى بها يدفعنى الى قبول الزواج
منك .. ولكن دعنا من حديث الحب الآن .. لقد كان الحبيب
أكذوبته المفضلة .

— لنا جميعا !
— كيف كان اثر الصدمة على هيلين يا ويلسون ؟
— لقد رايتها بعد ظهر اليوم على البلاج مع باجستر .. وكانت
امس مخمورة فى النادي !
— انها امرأة بلا كرامة او حياة .
— الواقع اننى لا ادرى ماذا أعجبه فيها ؟ .. إما انا .. قل
[خلدك يوما يا لويز !]

وكان هذا الحديث يدور بعد وفاة سكوبي بثلاثة أيام . وكان الدكتور ترافير قد ذكر فى شهادة الوفاة أنه مات بالسكتة القلبية . وقال ويلسون :

- اتعرفين اننى ظننت حين سمعت نبأ وفاته أنه انتحر !
- العجيب اننى يا ويلسون اتحدث عنه ببساطة بعد ثلاثة أيام من وفاته ، وذلك رغم انى كنت احبه .. نعم كنت احبه اشدا الحب .. ولكن يبدو لى الآن انه خرج من حياتى منذ امد بعيدا جدا ..

ولعل شعور لويز هذا كان راجعا الى أنه ، اى سكوبي ، لم يترك وراءه شيئا يذكر .. بضع ملابس قليلة فى البيت ، وبضع اوراق قليلة فى المكتب . ولا شيء آخر . وقال ويلسون :

- هل كنت تعرفين امر علاقته بها .. طول الوقت ؟
- نعم .. وهذا ما جعلنى اسرع بالعودة من رحلتى الى جنوب إفريقيا . لقد ارسلت الى المسز كارتر خطابا تقول فيه أن علاقته بهيلين زولت أصبحت على كل لسان فى المنطقة . ولم يكن هو بطبيعة الحال يعرف هذا ، لانه كان يظن انه نجح فى اخفاء هذه العلاقة عن الجميع .. وقد كاد يقنعنى تماما بأن كل شيء قد انتهى بينه وبينها عندما ذهب الى الطهارة والمناولة فى الكنيسة .

- وكيف استطاع ان يرضى ضميره الكاثوليكي بهذا العمل ؟
- ان بعض الكاثوليكيين يفعلون هذا عادة . يعترفون بخطاياهم ثم يرتكبون نفس الخطايا فى اليوم التالى . وكنت اظن أنه غير هذا . ولكن الانسان تنكشف أسرارُه بعد موته .

- لقد كان يأخذ مالا من يوسف ..

- اننى لم اعد استبعد هذا الآن ..

اقوضع ويلسون يده على ذراع لويز وقال :

— اننى شخص مستقيم يا لويز .. واحبك باخلاص ..
 — اعتقد انك صادق فى هذا ..
 ولم يتبادلا القبلات .. لان لويز رأت ان هذا لا ينبغي فى ذلك
 الوقت ، واكتفيا بالجلوس جنباً الى جنب ، متماسكى الابدن ..
 منصتان الى الغربان وهى تحط على السقف او تشيل منه !



وقال باجستر لهيلين وهو جالس معها فى الكوخ :
 — الا تقدمين لى كاسا يا عزيزتى ؟
 — لقد شرب كل منا اربع كؤوس على البلاج يا جستر ..
 — وما ضرنا لو شربنا كاسا اخرى !
 وقالت هيلين وقد بدا لها انه لا داعى لان ترفض لاحد طلبا
 الى مالا نهاية :

— حسنا .. ليكن ما تريد ..
 — هذه اول مرة تسمحين لى فيها بالدخول الى كونك هذا ..
 انه مكان جميل مرتب .. من كان يظن ان هذه الاستراحة الحكومية
 يمكن ان تكون جميلة هكذا ..

وقبل شفتيها بحرارة ، وقال بعد ان شرب معها كاسا :
 — هل نتحدث عن الحب ؟
 — اترى ان هذا ضرورى ؟
 — وهل يمكن ان نتاح لنا مثل هذه الفرصة ؟ !
 وقالت لنفسها وهى مستسلمة :

« لماذا لا .. لماذا لا ؟ » ان باجستر كان شخص آخر .. لم
 يعد هناك من احبه فى هذه الدنيا .. فلماذا ارفض لاي رجل
 طلبا ؟

واغمضت عينيها وعادت تقول لنفسها :
 « اننى وحيدة .. حائرة القلب ، لا اشعر بمعنى الحياة »
 وقال باجستر بعد قليل بصوت مغمم بالنفوس :
 — انك باردة كالثلج .. الا يمكن ان تحيينى قليلا ؟
 — لا .. لم يعد فى مقدورى ان احب احدا ..

وهتف بانفعال وقضب !

- ولكنك احببت سكوبى .

- اننى لم اعد احب احدا .. ولا يستطيع الانسان ان يحب
حيثا . ان الميت لم يعد له وجود ، فكيف نجبه !
وهز كتفيه وقال :

- اننى لست حيوانا لامارس الحب مع جسد بلا روح ..
وتنهدت فى ارتياح وقالت لنفسها وهى لا تزال مقمضة
العينين :

- حمدا لله .. ان احدا لن يريد منى بعد اليوم شيئا .
وقال وهو ينصرف :

- ظابت ليلتك يا فتاتى .. سارك فى وقت آخر .
ولم ترد عليه ، وانما شعرت بالدموع تنحدر على وجنتيها فى
صمت ..

* * *

وقالت لويز للاب رانك الذى جاء لزيارتها بعد انصرافه
ويلسون :

- هل تعتقد يا ابنى انه .. انه كان يريد ان ينتحر قبل ان
تفاجئه الازمة القلبية ؟ ! ..

- اننا لا نستطيع ان نحكم على النوايا الخفية التى فى صدر
انسان مات وانتهى امره .

وصمت برهة قبل ان تقول :

- الا تصلى يا ابنى من اجلى ؟ ! ..

- انه احوج الى هذه الصلاة منك ! ..

- هل تعرف كل ما اعرفه عنه ؟ ! ..

- طبعا لا يا مسز سكوبى .. لقد كنت زوجة له مدة خمسة

عشر عاما ، والقس عادة لا يعرف الا الاشياء البسيطة .

- البسيطة ؟ ! ..

فقال الاب رانك فى ضيق :

- اعنى الخطايا .. لان الانسان لا يأتى البنا ليعترف بفضائله

- أعتقد أنك تعرف شيئاً عن علاقته بالمسز رولت .. أن
الجميع هنا يعرفون .

- مسكينة هذه المرأة ..

- لماذا ؟ !

- اننى اشعر بالاسف والعطف على كل انسان جاهل يرتكب
خطايا من هذا النوع .

- لقد كان كاثوليكيًا رديئًا .

- هذه عبارة حمقاء تقولها دون أن نعرف مدلولها الحقيقى .

- والآخرة .. وعذاب الآخرة .. لا شك أنه كان يعرف أنه
يجب على نفسه العذاب الأبدى .

- نعم .. كان يعرف هذا .. وكان واثقاً بأنه لن يكون موضع
الرحمة ؛ ولكنه كان يثق فى رحمة الآخرين .

- اعتقد يا أبى أن الصلاة من أجله لا تجدى !

فقال الأب فى عنف شديد :

- أرجوك يا مسز سكوى .. لا تتصورى أن فى مقدورك ؟ أن
فى مقدورى أنا أن نعرف شيئاً عن مدى رحمة الله .

- ولكن الكنيسة تقول ...

- أنا أعرف ما تقوله الكنيسة ، ولكن الكنيسة لا تعرف أيضاً
الى أى حد يمكن أن تتسع رحمة الله للبشر .

- هل تعتقد إذن أن هناك أملاً له فى رحمة الله ؟

- أكرهينه الى هذا الحد يا مسز سكوى !

- لم يعد فى قلبى كراهية له .

- إذن هل تعتقد أن الله أقل رحمة وإدراكاً من امرأة ؟

فقالت فى اضطراب وحيرة :

- ولكن لماذا .. لماذا فعل هذا كله ؟

« أيا كان ما فعله فأنا أعتقد أنه كان يحب الله حقاً .
وانحسرت عن نفس لويز موجة المראה والفضيب والحريرة وهي
تقول :

« أعتقد أنه لم يحب أحداً آخر . »
واجاب الأب راثك
« وأنا أعتقد أنك على صواب في هذا . »

« تمت »

هئية قناة السويس السفن العابرة لأول مرة خلال شهر مارس عام ١٩٦٣

بلغ عدد السفن التى عبرت القناة لأول مرة خلال مارس الحالى ٥٦ سفينة منها ٤٣ سفينة
عبرت القناة من الشمال و ١٣ من الجنوب الى الشمال .

ومن بين تلك السفن ١٢ ناقلة تزيد الحمولة الكلية منها على ٢٠٠٠٠ طن وهى موضحة
بالكشف التالى :

اسم السفينة	العلم	الحمولة الكلية طن	حمولة البضائع طن	اتجاه العبور
اوسسيل	انجليزى	٢٢٨٩٠	فارغة	شمال/جنوب
جولف فن	انجليزى	٢٧٥٠٧	فارغة	شمال/جنوب
اسويجو دفنر	ليبيى	٢١٦٧٨	٢٥٥٦٧	جنوب/شمال
بيرف اولد	نرويجى	٢٢٩٩٨	فارغة	شمال/جنوب
داجهلد	نرويجى	٢١١٦١	فارغة	شمال/جنوب

جنسيات السفن التي عبرت القناة خلال شهر مارس عام ١٩٦٣ :

السفن التي عبرت القناة خلال مارس ١٩٦٣ ترفع اعلام ٤٢ جنسية مختلفة مقابل ٣٣ جنسية في مارس الماضي . وكان ترتيب الجنسيات العشر الأولى خلال الشهر الحالي :

انجلترا - ليريا - النرويج - فرنسا - إيطاليا - هولندا - اليونان - يما - ألمانيا - السويد .

ينمسا كان الترتيب في مارس ١٩٦٣ كالآتي :

انجلترا - ليريا - النرويج - فرنسا - إيطاليا - اليونان - هولندا - السويد - يما - ألمانيا .

ومن بين الدول العشر الأولى التي عبرت سفنها القناة خلال الشهر الحالي زادت الحمولات الصافية لثمان من هذه الدول على مثيلاتها المارة في مارس ١٩٦٣ بالنسبة الآتية :

انجلترا ٢٠٢٪ - ليريا ٣٥٪ - النرويج ٢٢٪ - فرنسا ٤٪ - إيطاليا ٧٪ - هولندا ٩٪ - يما ١٧٪ - ألمانيا ١٦٪ .

بينما قصت بالنسبة لليونان بمقدار ٣٠٪ والسويد ٣١٪ .

وزارة الثقافة والإرشاد القومي

الدار القومية للطباعة والنشر



تعمل على تحقيق التوعية الثقافية التي تاريها الرئيس جمال عبد الناصر



الفتاهرة

مركز عالمي للإشعاع الثقافي
كتاب كل ست ساعات



مكتبات القاهرة

نيويورك لندن

الجزائر بيروت

طرابلس بغداد

الخطوط الاسكندرية
القاهرة



912
51q



0540402